الديبلوماسية العامة : أفكار لحرب الأفكار

بقلم بيتر كروس ، دورية سياسات الشرق الأوسط

لا يمكن للولايات المتحدة الأميركية أن تهزم القاعدة بقوة الذراع وحدها. عليها أيضاً أن تغير مصطلحات النقاش في العالم العربي/ الإسلامي، خاصة في جناحه الراديكالي. فكيف يمكن إنجاز هذا الأمر على أفضل نحو؟ أية إستراتيجية ينبغي على الولايات المتحدة تبنيها بخصوص ما يُدعى، غالباً، بـ " حرب الأفكار" ضد الإسلام الراديكالي؟

طورت إدارة باراك أوباما، بشكل هائل، مقاربة سابقتها بخصوص حرب الأفكار. ونتيجة لذلك، تطورت مصطلحات النقاش العالمية منذ التغير في الإدارتين في كانون الثاني 2009. إلا أن المكاسب الأميركية الأخيرة تعتبر ضحلة و معكوسة. فهي مقصرِّة في تغيير الرأي العام الضروري لهزيمة شبكة القاعدة. علاوة على ذلك، إنها تعكس، بشكل رئيس، غريزة الرئيس أوباما المبهمة بخصوص القدرة على الإقناع الشعبي العام. وبذلك، يمكن لتغيير في القيادة الأميركية أن يجعلها غير منجزة.

ينبغي دمج هذه المكاسب في بوتقة واحدة عن طريق غرسها في سياسات ثابتة ومستقرة تخلق وتحافظ على إستمرار مصطلحات نقاش مستحسنة على المدى الطويل.

وفقاً لذلك، نقوم بمسح وتقييم الديبلوماسية العامة الأخيرة والحالية تجاه العالم الإسلامي ونقدم إقتراحات للتطوير. أما الموضوع الرئيس لهذه الإقتراحات فهو وجوب تشديد الديبلوماسية العامة الأميركية على الحوار على حساب المونولوج بالإتجاه الواحد. فبدلاً من زيادة الجهر برسالتها، على الولايات المتحدة توفير الآليات للأميركيين ومسلمي العالم للتحدث مع بعضهم البعض.

أما موضوع النقاش الثاني فهو وجوب تشديد الولايات المتحدة على الحقائق الموضوعية على حساب البروباغندا. ،الموضوع الثالث، ينبغي أن تنم الديبلوماسية العامة الأميركية عن الإحترام للجمهور.الموضوع الرابع، ينبغي على الولايات المتحدة أن تنافس رواية القاعدة مباشرة؛ إن نقاشاً غير مباشر يترك مزاعم القاعدة غير مدحضة أمر غير كاف. الموضوع الخامس، إن بإمكان منظمات غير حكومية (NGOs) ، المنكبة على أفكار هدامة حول العالم، المساعدة على هزيمة رواية القاعدة. إن جلب هذه المنظمات غير الحكومية الى الوجود أمر يجب أخذه بعين الإعتبار. أما موضوع النقاش السادس فهو عن الصراعات المشتملة على مسلمين والتي تغذي رواية القاعدة؛ وبذلك، ينبغي على الولايات المتحدة تبني سياسة أقوى هادفة الى ترطيب وإخماد الصراعات المشتملة على مسلمين كجزء من حرب أفكارها.

اللا شعبية الأميركية، شعبية القاعدة

كانت وجهات النظر الخارجية مستحسنة ، بشكل واسع، قبل قيام الولايات المتحدة بمهاجمة العراق في آذار 2003، إلا أنها تزايدت في سلبيتها جداً، خاصة في العالمين العربي والإسلامي، خلال السنوات التي سبقت تسلم إدارة أوباما الحكم في كانون الثاني 2009. وخلال الأشهر الأولى للإدارة، تحسنت المواقف الخارجية تجاه الولايات المتحدة الأميركية نوعاً ما لكنها ظلت سلبية بالإجمال. وتدهورت أيضاً النظرة الخارجية للقاعدة منذ عام 2002، إلا أن القاعدة لا تزال تتمتع بدعم شعبي في العالم الإسلامي. ونتيجة للا شعبيتها في الخارج وشعبية القاعدة المتبقية، تواجه الولايات المتحدة رياحاً عكسية قوية مُقاومة في نزاعها ضد القاعدة. إن لا شعبيتها تكلف الولايات المتحدة الدعم، وشعبية القاعدة الباقية كافية لإستمرار جهودها بالعثور على المجندين، الأموال والملاذات الآمنة.

خلال عامي 1999-2000 ، كانت المواقف الشعبية تجاه الولايات المتحدة إيجابية في قسم كبير من أوروبا والعالم الإسلامي، بمعدل يراوح الـ 74 بالمئة في أوساط المستطلعين في بريطانيا، فرنسا، وألمانيا، و 68 بالمئة في أندونيسيا، تركيا والمغرب. في كل الأحوال، وبحلول عام 2005، إنحدرت النسبة يقوة لتصل الى معدل 46 بالمئة في بريطانيا، فرنسا وألمانيا، والى 42 بالمئة في أندونيسيا، تركيا والمغرب.

بحلول عام 2007، إعتبرت الشعوب حول العالم، والى حد واسع، الولايات المتحدة بمثابة تهديد لبلدانهم. بالواقع، إعتبر كثيرون بأن الولايات المتحدة تمثل التهديد الأعظم. وفي إستطلاع تم أخذه في تلك السنة، حددت شعوب 17 دولة، بما فيها باكستان، بنغلادش، تركيا، أندونيسيا، الصين، روسيا، ماليزيا، نيجيريا، والبرازيل، الولايات المتحدة الأميركية على انها التهديد الأكبر بالنسبة لبلدانهم. وبشكل لافت للنظر، إعتبر عدد أكبر من الباكستنيين الولايات المتحدة بمثابة تهديد أكثر مما إعتبر البعض الهند (64 % مقابل 45 %) . بالمقابل، حددت أربعة شعوب فقط القاعدة على أنها تمثل التهديد الأكبر لبلدانهم. فأكثرية كبيرة في باكستان، مصر، تركيا، وأندونيسيا لم تصدق حتى بأن مجموعات عربية

هي التي نفذت هجمات 11 أيلول 2001 في الولايات المتحدة الأميركية. بدلاً من ذلك، لقد تقبلوا بطيب خاطر، والى حد كبير، نظريات مؤامرة غريبة شاذة تلقي باللائمة على الموساد الإسرائيلي، الـ CIA أو قوى ظلامية أخرى.

وفقاً لذلك، تضائل الدعم الشعبي للحرب على الإرهاب بقيادة أميركا. فبين عامي 2002 و 2007، هبطت نسبة الدعم الشعبي للجهود الأميركية ضد الإرهاب من 69 الى 38 بالمئة في بريطانيا، ومن 75 الى 43 بالمئة في فرنسا، ومن 70 الى 42 بالمئة في ألمانيا، ومن 30 الى 9 بالمئة في تركيا ومن 20 الى 13 بالمئة في باكستان.

تحسنت المواقف الخارجية تجاه الولايات المتحدة في الأشهر الأولى من إدارة أوباما، لكنها ظلت سلبية بالإجمال. فعلى سبيل المثال، إرتفعت النسبة بحدة فيما يخص المصريين الواثقين، بشدة، من أن الرئيس أوباما سيقوم بالشيئ الصحيح في الشؤون الدولية بظل حكم أوباما، وذلك من نسبة 8 بالمئة في كانون الثاني 2008 الى 39 بالمئة في نيسان / أيار 2009. في كل الأحوال، ظلت وجهات نظر المصريين عن السياسة الخارجية الأميركية سلبية. وفي نيسان / أيار 2009، كان لا يزال 67 بالمئة من المصريين يعتقدون بأن الولايات المتحدة الأميركية تلعب دوراً سلبياً في العالم. وإستمرث أكثرية كبيرة تعتقد بأن الولايات المتحدة تسعى لإضعاف وتقسيم العالم الإسلامي (76 بالمئة)، السيطرة على نفط الشرق الأوسط (80 بالمئة)، و فرض ثقافتها على البلدان الإسلامية (80 بالمئة). وقال 60 بالمئة بأن إنشاء دولة فلسطينية ليس هدفاً أميركياً. هذه الأعداد لم تتغير، عملياً، منذ العام 2008.

إنحدر الدعم الشعبي لأسامة بن لادن في العالم الإسلامي بحدة بعد العام 2002، لكنه ظل أساسياً بالمصطلحات الشاملة. وفي العام 2007، كان هناك ثقة لدى 41 بالمئة من الشعب في أدونيسيا و 38 بالمئة في باكستان بأن بن لادن سيقوم بالشيئ الصحيح بما يتعلق بشؤون العالم في العام 2007 (نزولاً من 59 بالمئة و 46 بالمئة، على التوالي، في العام 2003).

إن الحرب على القاعدة ليست إنتخاباً. فهي لن تكون مقرَّرة من قبل الرأي العام فقط. إلا أن المواقف الخارجية السلبية المذكورة آنفاً مهمة. إنها تمنع الولايات المتحدة من الحصول على مساعدة هامة من أفراد وحكومات، وتترك مجالاً للقاعدة للعثور على المجندين، التمويل والملاذات الآمنة التي تحتاجها لتبقى في مجال العمل.

منذ 11 / 9، كانت المعلومات الإستخبارية الهامة تأتي غالباً من مواطنين أجانب تطوعوا بتقديم معلومات. فـ " رمزي يوسف "، منظم هجوم مركز التجارة العالمي عام 1993 وهجوم طائرة الخطوط الجوية Bojinka المحبطة عام 1994 ، تم القبض عليه في باكستان في معلومة سرية مقدمة عنه في العام 1995. أما " خالد الشيخ محمد" ، منظم هجوم 11 / 9، فقد قُبض عليه في العام 2003 بمساعدة معلومات سرية مقدمة عبر الهاتف. وتم إحباط مؤامرة للقاعدة عام 2006 لتفجير عدد من الطائرات في الجو في بريطانيا بواسطة معلومة سرية مقدمة من قبل عضو في الجمعية الإسلامية البريطانية، ما أنقذ الآف

الأرواح على الأرجح. هذه الأمثلة تطمئننا الى أن الولايات المتحدة تملك أصدقاء في العالم الإسلامي. كما تظهر الأمثلة، في كل الأحوال، الى أن الولايات المتحدة لا بد وأن تمتلك معلومات إستخبارية أكبر إذا ما كان لديها عدد أكبر من الأصدقاء.

إن الضرر الذي تسبب به الرأي العام المعادي في العالم الإسلامي للأمن الأميركي واضح وجلي اليوم في منطقة باكستان / أفغانستان. فهناك تراجعان خطيران يحدثان هناك بالنسبة للسياسة الأميركية، ناشئتان، في قسم كبير منهما، من المواقف الشعبية العامة في باكستان، حيث الولايات المتحدة تعتبر غيرشعبية أبداً والقاعدة محبوبة نوعاً ما، خاصة في المنطقة الشمالية الغربية الحدودية مع أفغانستان. التراجع الأول، إن طالبان تنبعث من جديد في أفغانستان وتشكل تهديداً جدياً وخطيراً لحكومة حميد كرزاي. وتعود طالبان لأنها تملك، والى حد كبير، ملاذاً آمناً في مناطق الشمال الغربي الحدودية لباكستان، من حيث يمكنها التحرك جيداً الى داخل أفغانستان، ولأن الهيئات الأمنية الباكستانية تقدم لها الدعم المباشر، سراً.

التراجع الثاني، لقد وجدت قيادة القاعدة ملاذاً آمناً أيضاً في المنطقة الشمالية الغربية لباكستان. وقد إستغلت هذا الملاذ لتصعِّد من أنشطتها التدريبية، لدعم غزو من قبل حلفائها في منطقة وادي سوات الباكستانية وفي مقاطعة بانر، وللتخطيط لهجمات في باقي باكستان، وكذلك في الشرق الأوسط والغرب. ومع وجود هذا الملاذ في باكستان، يمكن للقاعدة أن تظل تعمل الى ما لا نهاية وتمتلك حرية النمو في الحجم، وتطور خبراتها وتستمر بالبحث عن أسلحة الدمار الشامل. لقد بدأت القاعدة بالنمو والإزدهار في التسعينات، مطوِّرة في النهاية، خلايا لها في أكثر من 60 بلداً، وذلك يعود، جزئياً، الى أنها تمتعت بملاذ آمن في أفغانستان المحكومة من قبل الطالبان، حيث دربت آلاف المجندين بأمان. فإذا كان مسموحاً للقاعدة بإتخاذ ملاذ آمن في باكستان، لأي مدة من الزمن، فإن هذه الدورة سوف تتكرر. فالقاعدة ستتوسع وتتمدد لتصبح أكبر وأكثر إهلاكاً وخطراً مما هي عليه اليوم.

إن هذين التراجعين المزدوجين يعكسان علة في الرأي العام النخبوي والشعبي الباكستاني. فطالبان والقاعدة تجدان الملاذ الآمن والمجندين في منطقة شمال غرب باكستان لأنهما محبوبتان لدى الناس الموجودين هناك، في حين أن الحكومة الباكستانية والولايات المتحدة ليستا كذلك، وبشكل واسع. وكما يذكر Jane Perlez في صحيفة الـ " نيويورك تايمز "، "لا يعتبر كثير من الباكستانيين المسلحين أعداء لهم، وإنما يعتبرونهم مسلمين أمثالهم يستحقون تعاطفاً أكبر مما تستحقه الأهداف الأميركية."

تدعم الهيئات الأمنية الباكستانية طالبان وتقدم للقاعدة مجالاً واسعاً في الشمال الغربي وذلك يعود، جزئياً، الى أن الولايات المتحدة لم تضغط على حكومة باكستان للتعاون بشكل كامل مع سياساتها. بدورها، كبحت واشنطن مطالباتها لباكستان بأن تخرج نفسها من فكرة الخوف من إمكانية تداعي وإنهيار الدعم النخبوي والشعبي لحكومة باكستان، ما يؤدي الى سقوطها، إذا ما أصبحت الحكومة في سياساتها منتمية جداً للسياسات الأميركية. إن أيدي أميركا موثوقة بسبب المواقف الشعبية الباكستانية. هذا هو الثمن الذي تدفعه الولايات المتحدة لقاء إعتبارها من قبل الباكستانيين بمثابة التهديد الرئيس لبلادهم ولشعبية بن لادن المستمرة لدى الشعب الباكستاني.

حاجج Robert Keohane و Peter Katzenstein بقولهما، " إن التعاون بين الولايات المتحدة وحلفائها، حول قضايا كالإرهاب...لم يكن معوَّقاً " بسبب المعاداة للأمركة. أما الظروف في باكستان وأفغانستان فتقدم دليلاً هاماً على العكس. لقد أعاقت المعاداة الباكستانية للأمركة تعاون إسلام آباد مع جهود مكافحة الإرهاب الأميركية في منطقة أفغانستان / باكستان. فحكومة باكستان لن تكون حليفاً يمكن الإعتماد عليه ضد القاعدة والطالبان الى حين تغيُّر مصطلحات النقاش في باكستان. إذ ينبغي التشكيك بالقاعدة وتشويه سمعتها لدى الشعب الباكستاني، وينبغي إستعادة شرعية الولايات المتحدة.

برامج الديبلوماسية العامة الحالية

يتم تعريف الديبلوماسية العامة على أنها عمل بإتجاه " فهم، الإطلاع، والتأثير على الشعوب الأجنبية وتوسيع الحوار بين المواطنين الأميركيين والمؤسسات وبين نظرائهم في الخارج." إنها تتضمن كل من تواصل الحكومة مع الشعب (G2P) والشعب مع الشعب (P2P) . إنها تتألف من سلسلة أنشطة، بما في ذلك وسائل الإتصالات التلفزيونية، الإذاعية، الإنترنت للوصول الى الشعوب الأجنبية؛ التبادلات التعليمية والثقافية؛ التواصل والحوار مع جماهير أجنبية من قبل مسؤولين أميركيين؛ التدرب على اللغة لتمكين هذه البرامج من العمل. وهناك 5 وكالات مسؤولة عن إدارة الديبلوماسية العامة : هيئة حكام البث الإذاعي (BBG)، التي تشرف على كل عمليات البث غير العسكرية؛ وزارة الخارجية؛ الوكالة الأميركية للتطوير الدولي (USAID)؛ البيت الأبيض (من خلال مجلس الأمن القومي)؛ ووزارة الدفاع. أما التمويل فمركَّز بشدة في الـ BBG (هيئة حكام البث الإذاعي) ووزارة الخارجية.

تتضمن الديبلوماسية العامة تجاه العالم الإسامي 11 مشروعاً رئيساً بميزانية بالكاد تصل الى 400 مليون دولار. وهي مقسمة الى 5 مشاريع إعلامية؛ 3 برامج تبادل دولي؛ مجموعة برامج micro- programs (حاسوب) لدعم التعددية، الإزدهار، ومساواة الجنسين؛ برامج التدريب على اللغة؛ وعمل السفراء ومسؤولين آخرين في وزارة الخارجية في الخارج. بعض هذه الجهود عبارة عن نجاحات، وبعضها عبارة عن إخفاقات محبطة.
إن التبادلات الدولية وبرامج التدريب على اللغة تنال، بشكل خاص، علامات جيدة، في حين أن الجهود الإعلامية الأميركية لا تنال سوى علامات متواضعة جداً. فالبرامج الأكثر نجاحاً صغيرة للغاية ليكون لها تأثير كبير مفيد. وبذلك، فإن الجهود الأميركية الحالية لتشكيل الرأي العام في العالم العربي / الإسلامي غير فعالة الى حد كبير إما بسبب التنفيذ المتواضع أو التمويل غير الملائم.

المشاريع الإعلامية : التلفزيون والإذاعة

تشغِّل الولايات المتحدة محطة تلفزيونية إخبارية فضائية ناطقة باللغة العربية مركزها الولايات المتحدة الأميركية هي " الحرة" ؛ ومحطة إذاعية ناطقة باللغة العربية هي " راديو سوا" وصوت أميركا (VOA)، التي تبث بلغات العالم الإسلامي العديدة. إن الحرة وراديو سوا عبارة عن إخفاقات. أما صوت أميركا ففاعلة، إلا أنها لا تبث بلغات أساسية عديدة، أهمها العربية والبنجابية. بالإجمال، إن البث الإذاعي والتلفزيوني الأميركي الموجه للعالم الإسلامي مخيباً جداً للآمال.

تم إطلاق قناة الحرة في العام 2004 بهدف توفير تغطية إخبارية أميركية وشرق أوسطية موالية لأميركا موجهة للشعوب العربية. وتظهر الإستطلاعات بأن قناة الحرة لم تجتذب سوى جمهوراً ضئيلاً جداً وبأنه لم يكن لديها مصداقية كبيرة في العالم العربي. وقد وجد إستطلاع للرأي أجرته جامعة ميري لاند / الزغبي في نيسان / أيار 2009 الى أنه لم يختار قناة الحرة كمصدر إخباري تلفزيوني مفضل سوى نسبة صغيرة متلاشية لا تتعدى الـ 0.5 بالمئة من المستطلعين العرب – أقل حتى من نسبة الـ 2 بالمئة إختارت المنار، المحطة الإخبارية لمجموعة حزب الله اللبنانية الراديكالية، وأقل بشكل كبير من نسبة الـ 55 بالمئة إختارت قناة الجزيرة الأكثر تمثيلاً للإتجاه السائد في المجتمع. (إعتبر 76 بالمئة من المستطلعين محطة الـ CNN مصدراً جديراً بالثقة في إستطلاعات الزغبي عام 2004، ما يظهر بأن ليس كل المنافذ الإخبارية الأميركية تفتقر للمصداقية).
تجتذب إذاعة راديو سوا، المنطلقة عام 2002، جمهوراً أكبر من قناة الحرة، لكن تأثيرها ضئيل أيضاً. فقسم إعداد البرامج يتألف، الى حد كبير، من الموسيقى مختلطة بمقدار ضئيل من الأخبار. أما محتوى الأخبار فمحدود جداً ليكون لها تأثير على الرأي العام حول قضايا السياسة.

عندما تم إطلاق راديو سوا، إختارت إدارة جورج دبليو بوش، بشكل غير حكيم، إلغاء القسم العربي في صوت أميركا، مستبدلة إياها براديو سوا. هذا القرار الغريب خلق فجوة كبيرة في الجهود الإعلامية الأميركية. فقد خدم القسم العربي في إذاعة صوت أميركا هدفاً قيماً بالوصول الى جمهور متواضع لكنه هام – الحكومة، نخب رجال الأعمال، والنخب الأكاديمية والإعلامية – مع إذاعتها أخباراً هامة قوية. وقد خسرنا ذاك الجمهور.
النتيجة النهائية: لا تملك الولايات المتحدة، الآن، شبكات إذاعية أو تلفزيونية ذات مصداقية للتواصل مع النخب والشعوب العربية. فقناة الحرة غير مُشاهدة، راديو سوا لا ينقل محتوى إخباري كبير، أما القسم العربي في صوت أميركا فقد ألغي. هناك خطأ ما في هذه الصورة!

مشاريع إعلامية أميركية أخرى

هناك 3 جهود إعلامية أميركية حكومية يجدر ذكرها : جعل الديبلوماسيين الأميركيين متوفرين للحديث على وسائل الإعلام العربية / الإسلامية، وحدة التجاوب السريع والمواقع الإلكترونية (blogging).

بعد هجمات 11 /9، قامت إدارة بوش أولاً بمقاربة قتالية للإعلام العربي/ الإسلامي. إذ غالباً ما رفضت مسألة جعل المسؤولين الأميركيين متوفرين للقيام بمقابلات وطردت قناة الجزيرة من العراق المحتل أميركياً.

في العام 2005، عكس فريق بوش المسار، فاسحاً المجال لعدد أكبر من المسؤولين المدنيين الأميركيين والضباط العسكريين بالظهور في الإعلام العربي لشرح، ومناقشة السياسات الأميركية والدفاع عنها. في كل الأحوال،غالباً ما كان ذلك الظهور غير فعال لأن الديبلوماسيين شعروا بأنهم مكرهون ومجبرون على ما قالوه. فقد كانوا خائفين من أن يتم الإنقضاض على أية ملاحظة تنتقد إدارة أميركا من قبل معلقين سياسيين أو أعضاء في الكونغرس بعد العودة الى الوطن، وأن يُشهَّر بهم بصفتهم " معادين لأميركا "، وإحتساب تلك الملاحظة ذريعة لمعاقبتهم أو طردهم. نتيجة لذلك، كان ظهورهم يترك إحساساً لدى الجمهوركمن يحضِّر نصاً للتصوير أو النشر، ما يجعلهم غير مقنعين غالباً. علاوة على ذلك، لم يكن يعرف ما يكفي من اللغة العربية سوى قلة من الديبلوماسيين الأميركيين ولم يكن يعرفها، تقريباً، أي من الضباط العسكريين للتعامل مع مقابلة باللغة العربية. ونتيجة لذلك، كان يتم الإستماع إليهم من خلال مترجمين، ما يقلل من فعاليتهم. أخيراً، هناك قلة من المسؤولين الأميركيين تعرف ما هوكاف عن الشريعة والدين الإسلامي، أو عن تاريخ وثقافة العالم الإسلامي، لمناقشة القضايا ذات الصلة. وبنتيجة ذلك، فإنهم نادراً ما يكونوا مقنعين حول أسئلة تشكل الرأي العام السياسي العربي / الإسلامي.

تراقب " وحدة التجاوب السريع" التابعة لوزارة الخارجية الإعلام الناطق باللغة المحلية من حول العالم وتصدر تقريراً يومياً قيماً حول هذا الإعلام ما يساعد صناع السياسة على فهم الكيفية التي يُنظر بها الى الولايات المتحدة في الخارج وما هي الروايات التي يتردد صداها في الإعلام الأجنبي. ويساعد التقرير أيضاً المسؤولين الأميركيين على صنع وصياغة ردود سريعة على احداث وإنتقادات.

في مطلع عام 2007، أطلقت وزارة الخارجية برنامج مواقع إلكترونية مفيد (blogging). إنه يحافظ على وجود 5 أو 6 موظفين حكوميين يعملون بدوام كامل للإجابة وفضح زيف التضليل المعلوماتي على مواقع الإنترنت. إن أصحاب هذه المواقع موظفون ناطقون باللغة العربية في وزارة الخارجية الأميركية، يتم الإشراف عليهم من قبل مسؤولي فريق العمل الديبلوماسي والإستشاري لمكتب الخارجية الأميركية(Foreign Services).

برامج التبادل الدولي

لطالما شغلت الحكومة الأميركية برنامجيْ تبادل كبيرين، إعترف بهما ، وبشكل واسع، بأنهما ناجحيْن. وعقب 11 /9، قدمت الحكومة الأميركية مبادرات أخرى، بما فيها برنامج حوار ممتد واعد يستهدف العالم الإسلامي.

إن برنامج Fulbright هو برنامج التبادل الرئيس لدى وزارة الخارجية الأميركية. لقد قام بتقديم مكافآت عبارة عن منح بلغ عددها 8344 منحة في العام 2007، بكلفة تخطت الـ 200 مليون دولار. هذه المنح ذهبت الى طلاب، أساتذة، إختصاصيين، وباحثين أميركيين ليدرسوا، يعلموا، يحاضروا، ويقوموا بأبحاث في أكثر من 150 بلد، كما ذهبت الى نظرائهم الأجانب للإنخراط في نشاطات مشابهة في الولايات المتحدة.

أما برنامج International Visitor Leadership program (IVLP)، الذي بدأ في الخمسينات، فيجلب، سنوياً، حوالي 5000 شخص من جنسيات أجنبية من حول العالم الى الولايات المتحدة للإجتماع والتشاور والتباحث مع نظرائهم الإختصاصيين وإختبار الحياة الأميركية مباشرة من مصدرها الأصلي. هؤلاء الزوار هم قادة حاليون أو محتملون في الحكومة، الحياة السياسية، الإعلام، التعليم، العلاقات العمالية، الفنون، الأعمال وميادين أخرى. ويتم إختيارهم من قبل مسؤولي فريق العمل الديبلوماسي والإستشاري في مكتب الخارجية الأميركي في الخارج (Foreign Service). وبحسب كل الروايات، يتعلم هؤلاء الزوار، ويُعلّمون، الشيئ الكثير في زياراتهم، خاصة إذا كانت مطولة (أكثر من إسبوعين). ويتضمن المشاركون السابقون في برنامج IVLP أكثر من 200 شخص من رؤساء دول حاليين وسابقين و 1500 من الوزراء الحكوميين.
قدمت وزارة الخارجية الأميركية مبادرة أخرى تبدو واعدة. فبرنامج تبادل الشباب والدراسة YES (Youth Exchange and Study) جلب حوالي 5000 مراهق من بلدان ذات تعداد سكاني إسلامي بارز الى الولايات المتحدة منذ العام 2003.

أما " حوار المواطنين" (Citizen Dialogue) فبرنامج يرسل مواطنين أميركيين مسلمين من حول العالم للإنخراط في حوار مع مسلمين أجانب (إجتماعات دار البلدية ومقابلات إعلامية). هذه الإجتماعات غالباً ما تجري من خلال سفارات أميركية. هذا البرنافع لا يزال فتياً جداً ليقيَّم، لكنه يبدو طريقة حكيمة لإستخدام مواهب المجتمع الإسلامي الأميركي.

دعم التعددية، الإزدهار، ومساواة الجنسين

تشرف " مبادرة شراكة الشرق الأوسط " MEPI (Middle East PartnershipIniative)، التي بدأت في العام 2002، على عدد من البرامج الصغيرة لدعم الديمقراطية، التعليم، النمو الإقتصادي، وتفويض المرأة.

إن مبادرة MEPI معرقلة بسبب معضلة- لغز: إن مهمتها الرئيسة تعزيز الإصلاح السياسي في بلدان يحكمها حكام مستبدون، لكن هذا الأمر سيقوض أنظمة تعتمد عليها الولايات المتحدة لأجل التعاون الإستراتيجي. وبذلك، فإن مبادرة MEPI تشتغل ، بشكل رئيس، في أضعف البلدان الشرق أوسطية وأقلها أهمية. فهي لا تفعل الكثير في البلدان الحليفة الأقرب إليها، كالمملكة العربية السعودية ومصر. وذهب معظم التمويل السابق

المخصص لمبادرة MEPI الى مساعدة مسؤولين ووكالات حكومية شرق أوسطية، برغم أن مهمة MEPI الرئيسة هي التركيز على جماعات المجتمع المدني.

بالإجمال، لم تحقق " مبادرة شراكة الشرق الأوسط MEPI "سوى القليل. فلديها مظهر واجهة العرض الثانوية التمويل، منظمة للسماح للولايات المتحدة بإدعاء الإنخراط في قضايا هي من مهمة مبادرة MEPI الإنصراف لها، لكن من دون الإنخراط الفعلي والحقيقي.

التدرب على اللغة

ترعى الحكومة الأميركية برامج تدريب على اللغة لتعليم آخرين اللغة الإنكليزية وتعليم الأميركيين اللغة العربية ولغات العالم الإسلامي الأخرى. إن برامج التدريب على اللغة قيمة جداً، ناجحة جداً وصغيرة للغاية.

في العام 2004، أطلقت إدارة بوش مبادرة لتعليم الإنكليزية لمراهقيين مضغوطين ومقموعين في بلدانهم ، هو برنامج English Access Microscholarship Program . وقد وصل البرنامج الى ما يقرب من 44000 شاب وشابة في أكثر من 55 بلداً منذ بدئه. هذه بداية محترمة، لكنها فقط البداية، بسبب الحجم الضخم للعالم الإسلامي (1.3 مليار إنسان). إن برنامج التدريب على اللغة للأجانب زهيد الثمن، وعلى الولايات المتحدة أن توفره بشكل واسع، خاصة لفئة الشباب من غير النخبة الذين لا يمكنهم، عدا ذلك، الحصول على التدريب.

قدمت مبادرة لغة الأمن القومي (National Security Language Initiative)، المقدمة من قبل الرئيس بوش في العام 2006، التمويل للتدريب المتزايد على اللغة الأجنبية (بما فيها العربية) في مدرسة إبتدائية من خلال كلية في الولايات المتحدة ولمؤسسات المنح الجامعية للطلاب الأميركيين لدراسة اللغة العربية في الخارج. هذا البرنامج فعال جداً لكنه صغير جداً للغاية. ينبغي زيادة حجمه الحالي (100 مليون دولار) عدة أضعاف. أما المرشحين النوعيين فمتوفرين. لقد تلقت الحكومة الأميركية أكثر من 6000 طلب للحصول على 367 منحة تدريب لغوي في العام 2007. لتكون بذلك قد خذلت أكثر من 5600 شخص (أكثر من 93 بالمئة من الطلبات) ممن يريدون المساعدة على إرساء مهارات لغة أميركا، وهذه نقطة ضعف أميركية أساسية في نزاعها ضد القاعدة. وكما أشرنا آنفاً، لا يزال لا يوجد لدى كل من وزارة الخارجية والجيش الأميركي سوى قلة قليلة جداً من الناطقين باللغة العربية، معظمهم ليسوا أفضل من المستوى الثالث من حيث المهارة . هذه المهارات جيدة كفاية لترجمة وثائق أساسية لكن ليس لإدارة أعمال حكومية نظامية يكون فيها المستويين 3 و4 – أعلى المستويات- أمراً مطلوباً. إن توسيع " مبادرة لغة الأمن القومي" سيساعد في تصحيح هذا التقصير.

السفراء

يقوم السفراء الأميركيون ومسؤولون آخرون في وزارة الخارجية بعمل مهم في وضع شكل النقاش والمفاهيم في الخارج. فتعيينهم في الخارجية يسمح لهم بتعلم ثقافات محلية وتطوير علاقات يمكن أن تساعد على الإستماع إليهم عندما تنشأ الضرورة. في كل الأحوال، إن التمويل المقدم لأنشطتهم يعتبر ضئيل الحجم، وهذا مشهور، خاصة عند مقارنته مع وزارة الدفاع ووكالات أمنية أخرى. إذ كانت ميزانية وزارة الدفاع توازي 34 مرة حجم ميزانية وزارة الخارجية في العام 2008. هناك موسيقيون في الفرق العسكرية الأميركية أكثر مما يوجد مسؤولون لفريق عمل ديبلوماسي وإستشاري في مكتب الخارجية (Foreign Service) في وزارة الخارجية. مرة أخرى هناك ما هو خطأ في هذه الصورة.

تطوير الديبلوماسية العامة

تبرز الإقتراحات التالية من تجربة الديبلوماسية العامة لأميركا. لدى عدد منها موضوع نقاش مشترك : ينبغي، عادة، إدارة الديبلوماسية العامة كحوار، وليس كمونولوج. فالحوار يجعل الجمهور يشعر بأنه مسموع، ما يحضِّر الجمهور لدرس رسالة المتحدث وأخذها بالإعتبار. إنه يساعد أيضاً الجمهور على تنوير المتحدث حول هواجسه، وهذا يساعد المتحدث على تركيز النقاش على الإهتمامات الحقيقية للجمهور. فالديبلوماسية العامة الأميركية عالباً ما إتخذت أسلوب المونولوج في السنوات الأخيرة. بدلاً من ذلك، ينبغي على الولايات المتحدة التركيز على خلق تبادل أفكار بالإتجاهين.

إصغاء أكثر

ينبغي على الولايات المتحدة تمييز الفروقات بين وجهات نظر الجماهير االمستهدفة قبل تطوير برامج للإنكباب على هذه الفروقات. لقد تداعت أحياناً برامج أميركية سابقة لأن الأميركيين تكلموا قبل أن يستمعوا. على سبيل المثال، إن " مبادرة القيم المشتركة الأميركية" (Shared Values Initiative) لعام 2001- 2002، التي قدمت إعلانات تلفزيونية روجت، بحماس، لنوعية الحياة العالية التي يتمتع بها المسلمون في أميركا، تم إخراجها بشكل لطيف لكنها إنكبت على سؤال لم يكن العالم الإسلامي يطرحه. فالمسلمون حول العالم كانوا قلقين من السياسات الأميركية تجاه العالم الإسلامي، ولم يكونوا قلقين على ظروف الحياة بالنسبة للمسلمين الأميركيين. لقد تحدثت حملة " القيم المشتركة" عمن يفوقهم تطوراً.

إعادة عنونة الحروب

ينبغي على الولايات المتحدة إعادة عنونة جهودها الرئيسة المتعلقة بمكافحة الإرهاب لتجنب إرباك نفسها وتخبط رسالتها في الخارج. فـ " الحرب على الإرهاب" يجب أن تصبح " الحرب على القاعدة"؛ " حرب الأفكار" يجب أن تصبح " حوار الأفكار."

إن عنوان" الحرب على الإرهاب" يضلل الأميركيين بتحديده لاعبين كثر جدا كخصوم – كلهم من المجموعات الإرهابية العالمية العديدة. إنه تخلط الأعداء الحقيقيين مع المحايدين أو اللا أعداء (ليس جميع الإرهابيين يهددون الولايات المتحدة)، ما يقود الأميركيين الى الإعتقاد بوجوب محاربة غير الأعداء. كما أخفق هذا العنوان بوضع الأولويات أيضاً. فبعض الإرهابيين المعادين هم أكثر خطراً بكثير من آخرين، إلا أن دعوة " الحرب على الإرهاب" تطرح عدم تساو بينهم.

إن عنوان " الحرب على الإرهاب" لا يلحظ القدرة الكامنة الموجودة لإستراتيجية " فرِّق تسد " تجاه المجموعات المعادية. إن تحديد إطار مشترك لهذه المجموعات يحجب الصراعات الدائرة بينهم. وتعتبر إستراتيجية " فرِّق تسد " واعدة لأن الصراعات المتبادلة المدمرة الدموية في أوساط الجماعات المتطرفة غالباً ما تكون عميقة. فعلى سبيل المثال، إن بعض العناصر المتطرفة في المجتمع الإسلامي السني تعبر عن كراهيتها للمسلمين الشيعة أكثر مما يفعل اليهود أو المسيحيين. إذ يمكن إستراتيجية أميركية ذكية أن تستغل هذه الكراهية لإضعاف المتطرفين في أوساط كل من الشيعة والسنة، وعلى الولايات المتحدة أن تستخدم مفاهيم تذكرنا بهذه الإمكانية. فعنوان " الحرب على الإرهاب" يخفق بالقيام بذلك.

ينبغي إسقاط عنوان "حرب الأفكار" لصالح "حوار الأفكار" أو "شراكة الأفكار". فكلمة "حرب" توحي ضمناً بفوز فريق أو خسارة فريق، فرض إرادته على الجانب الآخر، وإستخدام القوة لفعل ذلك. فبالنسبة للعرب والمسلمين، يطرح عنوان "حرب الأفكار" حرباً على أفكارهم "هم"، على دينهم وثقافتهم. إن إستخدام لغة تحمل في طياتها هذه النبرة العدائية هي طريقة بائسة لبدء حوار. بالمقابل، إن كلمة "حوار" أو "شراكة" تحمل في طياتها المساواة بين الأفرقاء، إحترام آراء كلا الجانبين، الحوار بدل المونولوج، والجهد للعثور على حلول تخدم مصالح كلا الفريقين. سوف ينضم المسلمون الى "حوار الأفكار " بعقول منفتحة أكثر مما سيفعلون مع عنوان "حرب الأفكار".

جمع الناس سوية

يتفق الخبراء، الى حد واسع، على أن برنامجي Fulbright و International Visitor Leader ومبادرات التبادل من الشعب والى الشعب المشابهة كانت عبارة عن نجاحات عظيمة ويجب توسيعها. ويشير Giles Scott-Smith الى أن برامج التبادل هي " العنصر المتجاهل في أحوال كثيرة لكن، وبشكل قابل للنقاش، العنصر الأكثر نجاحاً

للديلوماسية العامة." ويضيف بأن مسؤولي فريق العمل الديبلوماسي والإستشاري في مكتب الخارجية (Foreign Services) قد ذكروا في تقاريرهم، بشكل ثابت وموثوق، بأن برامج التبادل هي " واحدة من أفعل الوسائل للتأثير على الرأي العام في الخارج. ويصنف السفراء الأميركيون برنامج IVLP ، تحديداً،على أنه الأكثر إفادة من بين كل وسائل الديبلوماسية العامة المتوفرة لديهم." أما تجربة البلدان الأخرى فتؤكد على هذه الأحكام. فعلى سبيل المثال، تعتبر التبادلات الفرانكو- ألمانية بعد الحرب العالمية الثانية، وبشكل واسع، عنصراً هاماً في التقارب الفرانكو- ألماني. هذا الدليل يجعل من الواضح وجوب زيادة الولايات المتحدة إستثمارها في برامج التبادل، وبشكل كبير.

زيادة التدريب على اللغة

على الولايات المتحدة تعليم اللغة الإنكليزية لعدد أكبر من مواطني العالم الإسلامي. هذا الأمر سيحضِّرهم للمشاركة في برامج التبادل ويسهِّل جهود الحكومة الأميركية للإنخراط في حوار مباشر مع مواطنين عاديين. أما الأهم، فهو أن على الولايات المتحدة تعليم لغات العالم الإسلامي الى عدد أكبر بكثير من الأميركيين. فتعليم لغات العالم الإسلامي لأميركيين سيوفر للحكومة موهبة أكبر متعددة اللغات لأنشطة الديبلوماسية العامة وتحضيراً أفضل لأميركيين عاديين لفهم العالم الإسلامي والحوار معه، بما فيه المشاركة في التبادلات.

تحسين البث الأميركي

إن إعلام البث الأميركي الحالي (الإذاعي والتلفزيوني) الموجه الى العالم العربي (قناة الحرة التلفزيونية و إذاعة راديو سوا) هو إعلام غير فعال الى حد كبير. ينبغي إعادة صنع هذا الإعلام، ويجب إستعادة وضع إذاعة صوت أميركا باللغة العربية. ينبغي على عملية إعادة صنع الإعلام الأميركي أن يلحظ أفضل ممارستين في الديبلوماسية العامة : حوار سقراطي على حساب المونولوج، وحقائق موضوعية على حساب الجدل الهجومي.

لقد فضلت الجهود الإعلامية الأخيرة للديبلوماسية العامة المونولوج على حساب نقاش خذ وأعط. فعلى قناة الحرة، طغت عمليات البث المسجلة على برامج الـ "توك – شو " والـ " الإتصالات المباشرة على الهواء"، ولم يكن لدى إذاعة راديو سوا برامج توك – شو سياسية. كل الأدلة تؤشر الى أن هذه مقاربة خاطئة. إذ أن أسلوب المونولوج أقل فاعلية من الحوار. فالناس يصغون بشكل أفضل للناس الذين يصغون إليهم، والناس يصغون بشكل أفضل عندما يكون مسموحاً لهم أيضاً أن يتكلموا. ويلحظ Geoffrey Cowan و Amelia Arsenault بأن " الحاجة للإصغاء صفة أساسية للطبيعة البشرية،" وإن " قرناً من أبحاث التواصل يثبت بأن الحاجة للإصغاء تمثل صفة إنسانية عالمية تقريباً." وبحسب ما أشارا، يذكر باحثون في مجال الدمقرطة بأن " من المرجح أكثر أن يشعر الأفراد بإستحسان تجاه أولئك الذين لديهم وجهات نظر معاكسة وإعتبار النتائج السياسية عادلة ونزيهة إذا كانت

لديهم الفرصة للإنخراط في النقاش والجدل." وفقاً لذلك، ينبغي على عملية بث أميركية مقوَّمة أن تقدم الحوار على المونولوج بإتجاه واحد.

هذا الأمر يتطلب تفويض السفراء الأميركيين ومسؤولين آخرين للإنخراط في نقاش حول التاريخ وسياسة أميركا الحالية – وحمايتهم من هجوم من قبل أشخاص بدائيين محليين. هناك عدد من المسؤولين الأميركيين حذرين، وهذا مفهوم، من أخذ المبادرة والقيام بحوار سقراطي، لأن إنزلاقاً صغيراً أمام الكاميرا يمكن أن يتسبب بعاصفة نارية في الوطن تضع حداً لحياتهم المهنية. وبذلك، فإن إلتزاماً رئاسياً بعزل مسؤولين أميركيين ليكونوا في مأمن من هجوم محلي ما، والقيام بهجوم مضاد لصالحهم، أمر مطلوب.

ينبغي على الولايات المتحدة إعادة تصميم بنية إعلامها لتقديم أخبار أكثر موضوعية، مع نسبة أقل من المناقشات الهجومية أو الجدالات التي تأخذ جانباً واحداً. فعلى سبيل المثال، لطالما شدد البث الإعلامي للديبلوماسية العامة البريطانية على الأخبار الموضوعية، كما يتم سماعها على الـ BBC. بالمقابل، شددت الديبلوماسية العامة الأميركية على الدفاع والمؤازرة. هذا خطأ وذلك لسببين. أولاً، إن عملية الإقناع الناجحة تتطلب رسولاً موثوقاً، وأفضل طريقة لكسب المصداقية هي تقديم معلومات دقيقة وموضوعية. ثانياً، في الحرب بين الولايات المتحدة الأميركية والقاعدة، تعتبر الحقائق في غالب الأحيان صديق أميركا أكثر من كونها خصماً لها. فبن لادن، في واقع الأمر، شخص سيئ. القاعدة عُدَّة سيئة ذات برنامج سيئ؛ إنها تقوم بأفعال سيئة. أما الحكم الإسلامي الإستبدادي فكان عبارة عن إخفاق قاس تسبب بالمعاناة في كل من أفغانستان، السودان، وإيران. إن الولايات المتحدة ليست في وارد تدمير الإسلام. فالوقائع الموضوعية هي لصالح الولايات المتحدة، لذا ينبغي على الديبلوماسية العامة الأميركية تفضيل إستخدام الأساليب التي تبرز الحقائق الموضوعية.

إن البث الأميركي بحاجة أيضاً لإدارة أفضل. فالبث الأميركي الأخير أخفق، وذلك يعود، جزئياً، الى أن هيئة حكام البث (BBG) يتم إدارتها بشكل بائس. فتعيينات الأعضاء الـ 8 لهيئة الحكام الذين يديرونها غالباً ما كانت تقدم كمكافأة على شاكلة أرباح (زيادة على الراتب) لأصدقاء سياسيين ممن يقومون بالتعيينات. ونتيجة لذلك، أصبحت الـ BBG خيالاً مقطوع الرأس، مستقلة عن السيطرة الخارجية لكن ذات إدارة بائسة من الداخل. ففي السنوات الأخيرة، أتيح المجال لعضو الهيئة النافذ Norman Pattiz صنع قرارات هزيلة من دون نقاش أو محاسبة على النتائج. ينبغي تعيين محترفين رفيعي المستوى من ذوي الخبرة في الديبلوماسية العامة في كل مناصب هيئة الـ BBG، وينبغي أن تمتلك وتحتفظ هيئة الـ BBG بمعايير أداء رفيعة المستوى.

إشراك مسلمين أميركيين

لا ينبغي على الديبلوماسية العامة أن تركزعلى جماهير أجنبية فقط ، وإنما عليها ضم مسلمين إميركيين في النقاش الدائر. فالمجتمع الإسلامي الأميركي يملك لغة ومهارات ثقافية

قيمة يجب تحريكها بالكامل لدعم الديبلوماسية العامة الأميركية وبرامج الأمن القومي الأخرى في الخارج. وبالعكس، بإمكان المجتمعات الإسلامية الأميركية أن توفر ملاذات آمنة لخلايا القاعدة إذا ما أصبحت معزولة ومقصاة عن المجتمع، كبعض المجتمعات الإسلامية في أوروبا. وللحفاظ على دعم المجتمع الإسلامي وتحريك مهاراته، يجب أن تكون الحكومة الأميركية على تواصل وثيق بالإتجاهين مع المجتمعات الإسلامية والإنكباب بسرعة على أية هواجس وشكاوى تنشأ بسبب إجراءات أمنية (كعرض مظاهر معاداة المسلمين في المطارات) أو التمييز العنصري الخاص ضد المسلمين.

كن محدداً

ينبغي تفصيل الديبلوماسية العامة الأميركية وفق تفاصيل الجماهير الأجنبية الفردية. فالمجتمعات تختلف. وعندما يتعلق الأمر بالديبلوماسية العامة، فإن القياس الواحد لا يناسب الكل. ووفقاً لذلك، ينبغي على الديبلوماسية العامة التحدث بشكل منفصل بما يتعلق بالهواجس والمعتقدات الفريدة الخاصة بكل مجتمع مسلم أجنبي. إن رسالة مفصلة على القياس من هذا النوع ستؤدي دورها بالتواصل بشكل أفضل مع كل هاجس من هواجس المجتمع. إنها تنقل، أيضاً، رسالة إحترام.

إن تصميم الحوار يجعل من الأسهل القيام بتفصيل الديبلوماسية العامة وفق هذا الأسلوب. فالحوار يخلق الفرص للمجتمعات لتنوير الولايات المتحدة حول هواجسها الخاصة، ما يساعد بدوره الولايات المتحدة على الإنكباب عليها ومعالجتها.

تطوير العالم الإسلامي والتعليم الأميركي

كانت المدارس الدينية الإسلامية المتطرفة بمثابة قناة لنقل رواية القاعدة في أجزاء من العالم الإسلامي. ووفقاً لذلك، ينبغي على الولايات المتحدة وضع أولوية بشأن تعديل منهاج التعليم في هذه الدول أو وضعه خارج الخدمة. إن مدارس من هذا النوع غالباً ما تتواجد لأن المدارس الرسمية تعتبر عاجزة وغير كافية، ولأن الممولين عبر البحار متوفرين (سعوديون في غالب الأحيان). بإمكان الولايات المتحدة تحسين هذا الوضع عن طريق مساعدة الحكومات على توفير تعليم رسمي أفضل، الذي يمكنه أن يحل مكان المدارس المتطرفة. كما على الولايات المتحدة أن تضغط أيضاً على المانحين الأجانب مباشرة أو من خلال حكوماتهم لوقف التبرعات.

بإمكان الحكومة الأميركية أيضاً تنوير وتعليم العالم الإسلامي مباشرة عن طريق إحياء مراكزها الثقافية الأميركية ومكتباتها. فالحوار الهام بين الأميركيين وغير الأميركيين الذي جرى سابقاً في المراكز الثقافية الأميركية في بلدان أجنبية كان بإدارة مسؤولي الفريق الديبلوماسي والإستشاري في مكتب الخارجية (Foreign Service). وقد تعلم

غيرالأميركيين أيضاً الشيئ الكثير في مكتبات المركز الثقافي الأميركي. فالكتب الموجودة في عدد من هذه المكتبات كانت زواياها مطوية من كثرة الإستعمال. ولأسباب أمنية، جزئياً، تم إستبدال هذه المراكز،وبشكل كبير، بزوايا أميركية أكثر تفاهة، عروض أميركية يتم إلتهامها بشهية مفتوحة في مدارس محلية أو مكتبات من دون أن يكون لديها فريق أميركي للحوار مع الزائرين. إلا أن مشكلة توفير الأمن للمراكز الثقافية الأميركية ليست بالأمر التعجيزي، وينبغي إعادة فتحها.

إن التعليم في الولايات المتحدة بحاجة للتطوير أيضاً. فللإنخراط في حوار مع أولئك الذين هم من العالم الإسلامي، يجب أن يعرف الأميركيون شيئاً عن ثقافة وتاريخ هذا العالم. في كل الأحوال، الأميركيون لا يعرفون سوى القليل جداً، لأن الثقافة الأميركية حول هذه المواضيع ضحلة وسيئة بشكل يرثى له. هذا الأمر يجب أن يتغير. إن زيادة واسعة في الثقافة والتعليم حول العالم الإسلامي أمر ضروري في التعليم الثانوي الأميركي وما فوق.

تطوير التجارة وسياسة المساعدات

- تخفيض العوائق التجارية أمام واردات النسيج والغذاء من باكستان، أندونيسيا وبلدان عربية / إسلامية. هذا الأمر سيجعل العمال الذين ينتجون الغذاء والمنسوجات يشعرون بالشراكة أكثر مع الولايات المتحدة، في الوقت الذي يرفعون فيه من مستوى حياتهم ويخفضوا التكاليف على المستهلكين الأميركيين.

- عدم الإعتراض على القيود العربية / الإسلامية المفروضة على واردات منتجات التسلية الأميركية (التلفزيون، الأفلام والموسيقى). فهناك كثير من العرب والمسلمين الذين يشعرون بالإستياء والغضب بسبب المادية، مذهب المتعة، الأفلام الإباحية والعنف التي يمتلئ بها هذا الإعلام الى حد التخمة. إنهم يمتعضون من تأثيرها المزعج والمتلف على قيمهم الإجتماعية التقليدية. إن الولايات المتحدة تبعد أصدقائها المحتملين عن طريق فرض هذه المنتجات بالقوة على المجتمعات الإسلامية.

- تقديم إغاثة سخية وفي الوقت المحدد من دون تأخير في بداية الكوارث الطبيعية المفجعة، كتسونامي أندونيسيا عام 2004 وزلزال باكستان عام 2005. فالمساعدات المقدمة في أوقات الصدمات النفسية الكبرى تكون مقدرة عالياً، بشكل خاص، ويتم تذكرها لوقت طويل. إذ تسببت المساعدات الأميركية لضحايا التسونامي بتحسن ملحوظ ومميز في النظرة الأندونيسية للولايات المتحدة. لا ينبغي أن تكون مساعدات من هذا النوع رداً مرتجلاً، وإنما سياسة ثابتة.

- الترويج للمساعدات الإنسانية والإقتصادية الأميركية للبلدان العربية / الإسلامية. فهذه المساعدات المتواضعة غير مرئية، الى حد كبير، بالنسبة للشعوب الإسلامية، وذلك عائد، جزئياً، الى أن الـ USAID ممنوعة عموماً من إستخدام تمويلات البرنامج للترويج لجهود

مساعداتها. وبنتيجة ذلك، تسيئ الشعوب الإسلامية، الى حد كبير، تقدير مجال المساعدات الأميركية. ينبغي بذل الجهود للحصول على المديح الشعبي على المساعدات المقدمة.

زيادة التمويل وتطوير القيادة

إن المال المستثمر في تشكيل الرأي العام الخارجي يثمر عن نتيجة جيدة إذا ما أنفق بحكمة، إلا أن الولايات المتحدة لا تنفق سوى القليل جداً الآن على هذه المهمة. الأمر هنا هو: قرش يُصرف بحكمة ولا ليرة تُصرف بغباء. ففي السنة المالية لعام 2008، أنفقت الولايات المتحدة 1.6 مليار دولار على الديبلوماسية العامة في العالم. بالمقابل، أنفقت الولايات المتحدة 8.4 مليار دولار شهرياً غلى حرب العراق في مطلع عام 2009. وبذلك يكون ما أنفقته على الديبلوماسية العامة في عام قد أنفقته في 6 أيام في العراق. علاوة على ذلك، وفي حين أن الأرقام الحالية غير متوفرة، فإن تلك الصادرة عام 2003 تعرض الى أن حوالي ربع إنفاق وزارة الخارجية على الديبلوماسية العامة، فقط، موجه الى دول ذات أكثرية مسلمة.

كانت جهود الديبلوماسية العامة الأميركية ذات قيادة هزيلة جداً أيضاً. إذ كانت المديرة الأولى لمكتب الديبلوماسية العامة التابع لوزارة الخارجية ما بعد 9 / 11، Charlotte Beers، غير لائقة بالوظيفة. وتركت المديرة الثانية Margaret Tutwiler المنصب بعد جولة عمل مختصرة. أما المديرة الثالثة،Karen Hughes، فقد سُمح لها أن ترجئ وصولها وإستلام منصبها لأشهر في الوقت الذي ظلت فيه الوظيفة شاغرة، ومن ثم تركت في العام 2007. هذه القيادة التي تشبه لعبة الكراسي عكست إخفاقاً من قبل فريق بوش بوضع أولوية حول شن حرب أفكار قوية. ينبغي على الإدارات الأميركية المقبلة أن تضع قادة من الصنف الأول في موقع المسؤولية عن هذه المهمة الحيوية.

إنشاء دائرة للديبلوماسية العامة في وزارة الخارجية

إن الديبلوماسية العامة مهمة مميزة تتطلب مهارات وتدريباً خاصاً ليس ضرورياً بالنسبة لديبلوماسية التواصل من حكومة الى حكومة (G2G) والعكس بالعكس. وفقاً لذلك، ينبغي أداء العمل، والى حد كبير، من قبل مسؤولين مكرسين للعمل في مجال الديبلوماسية العامة ممن يملكون تدريباً ومهارات خاصة ويتم الحكم عليهم بالنسبة للترويج بناء على أدائهم في وظائف الديبلوماسية العامة. وبإتجاه تحقيق هذا الهدف، ينبغي تأسيس دائرة للديبلوماسية العامة تكون شبه مستقلة ذاتياً داخل وزارة الخارجية. ينبغي جمع المتخصصين في الديبلوماسية العامة في هذه الدائرة (إنهم الآن مبعثرين على إمتداد وزارة الخارجية، حيث مهاراتهم في هذا المجال تضمُر وتتلف بما أنهم يعملون على مسائل أخرى)؛ ويجب إعطاء مساعد وزير الخارجية للديبلوماسية العامة سلطة تتعلق بالتوظيف، التدريب، الترويج،

التعيينات، والميزانيات. ينبغي إسناد معظم عمل ديبلوماسية الخارجية العامة الى هؤلاء المسؤولين، الذين يجب عليهم صرف معظم وقتهم بالقيام بهذا العمل.

قبل العام 1999، كانت إدارة معظم الديبلوماسية العامة الأميركية تتم بواسطة وكالة الإعلام (المعلومات) الأميركية (USIA). وبسبب الضغط الغير حكيم من قبل الكونغرس، تم إستيعاب الـ USIA في وزارة الخارجية في العام 1999. إن عملية الضم والإتحاد هذه كانت خطأ خطيراً. ليس بالإمكان الآن إصلاح الأمر بسهولة، إلا أن قسماً كبيراً من الضرر يمكن الحد منه عن طريق توحيد مسؤولي الديبلوماسية العامة في دائرة جديدة. هذه الخطوة ستعيد الإحترافية الى الديبلوماسيين العامين الأميركيين وتجعل عملهم أكثر فاعلية.

إضافة لذلك، ينبغي إستعادة موقع الصدارة لوزارة الخارجية على الديبلوماسية العامة. ففي السنوات الأخيرة طورت وزارة الدفاع أنشطتها الديبلوماسية العامة الخاصة بها. هذه الأنشطة لم تكن ناجحة. بدلاً من ذلك ينبغي على وزارة الدفاع أن تكون محصورة بدورها المحدود التقليدي بإدارة العمليات النفسية (الحرب النفسية) ضد الأعداء في زمن الحرب.

إيصال رسالة الإحترام

يؤمن العرب ومسلمون آخرون، الى حد واسع، بأن الأميركيين ينظرون إليهم بعدم إحترام. هذا سبب رئيس لشعور العرب / المسلمين بالغضب تجاه الولايات المتحدة. وفقاً لذلك، ينبغي إعادة تصميم أسلوب ومحتوى التواصل الأميركي تجاه العالم الإسلامي لينقل رسالة إحترام. إذ يجب تفضيل أسلوب الحوار على المونولوج، كما ناقشنا آنفاً، وذلك يعود، جزئياً، الى أن الحوار يتطلب الإصغاء، والإصغاء يظهر الإحترام. ينبغي تأييد الأخبار الموضوعية بدل المناقشات الهجومية العنيفة في برامج البث الأميركي، وذلك يعود، جزئياً، الى أن المناقشات الهجومية تظهربأن المقدم يظن الجمهور غبياً جداً ليدرك السبب وراء البروباغاندا.

الإنكباب على مصالح العرب / المسلمين

عموماً، ينبغي على الولايات المتحدة تبني سياستها الخارجية لتعكس هواجس شعوب العالم العربي / الإسلامي. فحتى أفضل الديبلوماسيات العامة لا تستطيع الدفاع عن السياسات الخارجية التي تضر بجوهر مصالح الآخرين. لقد أضرت الولايات المتحدة بمكانتها في العالم العربي / الإسلامي بدعمها أنظمة إستبدادية غير شعبية في مصر، العربية السعودية، وأماكن أخرى، وبتقديمها الدعم غير المشروط لإسرائيل، ما يورط الشعب الأميركي في توسُّعية إسرائيل المكروهة جداً. إذ من الصعب جداً تبرير سياسات سياسات من هذا النوع للشعوب العربية / الإسلامية. بدلاً من ذلك، ينبغي على الولايات المتحدة، وبلطف، تأييد التعددية والحكم الجيد في العالم العربي، ودفع إسرائيل، بقوة، الى داخل حدود

1967، بل معارضة التوسع الإسرائيلي أيضاً بما يتخطى تلك الحدود، بما في ذلك، كل النشاط الإستيطاني الإسرائيلي في الأراضي المتنازع عليها. وفقط في " الحالات القصوى" تقوم بهجوم، غزو، أو إحتلال دول عربية وإسلامية، حيث أن إستخدام الولايات المتحدة للقوة ضد المسلمين يثير إستياء عظيماً.

لقد أومأ الرئيس أوباما بإتجاه هذه السياسات في خطابه الدراماتيكي المثير في 4 حزيران 2009 في جامعة القاهرة. عليه الآن أن يواصل العمل حتى الإنجاز.

إقتراحات أخرى

منافسة رواية القاعدة

حتى تاريخه، تفادت الحكومة الأميركية، الى حد كبير، النقاش المباشر بشأن شرعية ومنطق رواية القاعدة. بدلاً من ذلك، ينبغي على الولايات المتحدة التحرك لتحدي تلك الرواية وتدميرها. هذه الرواية مسيطرة في أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي ويؤمن بها الناس هناك بشكل واسع. إنها تحفز الكثيرين على الإنضمام الى الحركة (القاعدة) أو دعمها. وطالما أنها تملك قوة ساحبة وجاذبة في المجتمعات الإسلامية، فسيكون لدى القاعدة أرضاً خصبة للعثور على المجندين، المال، والملاذ الآمن.

ينبغي على الولايات المتحدة منافسة هذه الرواية لأنها خطيرة وواهية، تستند الى مزاعم تكون قابلة للنقاش عادة، وغالباً تكون مزيفة بإمتياز. وبذلك، فإنها عرضة للهجوم عليها بشدة. علاوة على ذلك، ستظل القاعدة صامدة طالما بقيت روايتها سليمة لم تمس. وستبقى روايتها طالما أنها تتغلغل من دون أن ينالها نقد.

يحاجج البعض بالقول بأن النقاش حول رواية القاعدة سيحصل حول مصطلحات القاعدة ولا يمكن الفوز بهذا النقاش. إلا أن الخطر الأكبر يكمن في التملص من النقاش. فحتى المناقشات غير القابلة للتصديق يتم تصديقها إذا لم يتم الإجابة عليها. ووفقاً لذلك، فإن مناقشات القاعدة سيتم تقبلها من قبل كثيرين إذا لم يتم دحضها.

إن لرواية القاعدة فصل ديني وآخر تاريخي. ينبغي الرد على كليهما.

العلم الديني

إن للعلم الديني الخاص بالقاعدة 6 عناصر: الجذور السلفية، تشرب الروح القتالية الجهادية، إعلاء شأن الجهاد، تأطير الأهداف الإمبريالية الواسعة، وتبرير قتل كل من المدنيين والمسلمين. إن كل العناصر الست ما هي إلا إنحرافات عن الإيمان الإسلامي السائد.

- **الجذور السلفية :** يعتنق مفكرو القاعدة التقليد السلفي السني الصارم في تقيده الديني الذي يسعى الى إعادة العالم الإسلامي الى الممارسة الدينية والإجتماعية في زمن محمد. فالسلفيون متمسكون بوجوب أن تكون قوانين الحكومة والمجتمع مبنية، فقط، على أساس قراءتهم الحرفية المحددة للقرآن، الحديث والشريعة. وعلى خلاف الإتجاه السائد بين المسلمين، يرفض هؤلاء كل إبتكارات الغرب وأفكاره الإجتماعية، بما في ذلك الديمقراطية، الدساتير، حقوق الإنسان، الحرية الشخصية، القانون الدولي، والمفاهيم الإقتصادية الغربية. إن القاعدة تتبنى وجهة النظر السلفية هذه.

- **تشرب الروح القتالية الجهادية وإعلاء شأن الجهاد:** " الجهاد" مصطلح عربي يعني " النضال للخير" أو " القتال في سبيل الله." إن المسلمين الممثلين للسلوكيات والقيم السائدة في المجتمع يعترفون بنوعين من الجهاد : جهاد داخلي هو جهاد النفس ليكون الإنسان صالحاً (الجهاد الأكبر) وجهاد خارجي للدفاع عن الإسلام ضد الهجوم أو الإساءة (الجهاد الأصغر). إن جهاد النفس ليكون الإنسان صالحاً يعتبر الأهم من بينهما. أما الجهاد الأصغر فيتطلب الدفاع عن الإسلام، بالقوة إذا لزم الأمر، لكنه لا يتضمن الواجب بشن حرب عدوانية. بالواقع، إن الحرب العدوانية ممنوعة من قبل الدين الإسلامي السائد. أما واجبيْ الجهاد فيعتبران خاضعيْن للأصول الخمسة للإسلام السني.

إن مفكري القاعدة يقومون بقلب الإسلام المعروف عن طريق إعلاء شأن واجب الدفاع عن المعتقد ووضعه فوق إعتبار واجب صلاح الإنسان (جهاد النفس). بهذه الطريقة قاموا بتشريب مفهوم الروح القتالية للجهاد. كما رفعوا من شأن الجهاد نفسه الى مكانة سامية مبالغ فيها، الى نفس مستوى الأصول الخمسة للإسلام السني التقليدي السائد. وقاموا بتوسيع مفهوم الجهاد الأصغر، بشكل هائل، ليضم 3 عناصر منبوذه أو محرمة في الإسلام : الحروب العدوانية التوسعية، وعمليات القتل الضخمة لغير المقاتلين والمسلمين.

- **تأطير الأهداف الإمبريالية :** يستخدم مفكرو القاعدة وسيلتين لتوسيع مفهوم الجهاد الأصغر كي يسمح ويتطلب حرباً عدوانية. أولاً، إنهم يحددون أي مكان كان محكوماً سابقاً من قبل المسلمين أو أنه سبق وأن كان لديه عدداً هاماً من السكان المسلمين بأنه أرض " إسلامية " اليوم. ومن ثم يتمسكون بالقول بأنه إذا كانت هذه الأراضي غير محكومة الآن من قبل حكام مسلمين، فإنها تكون خاضعة لهجوم ويجب الدفاع عنها، بالقوة إذا دعت الضرورة. وبذلك يكون الحكم الإسلامي السائد الذي يقف ضد شن حرب عدوانية مستبدلاً بمتطلب " الأمر الواقع" بإستخدام القوة لنشر الحكم الإسلامي.

هناك مساحة هائلة من العالم مستهدفة بسبب هذا التحايل. فكل إسبانيا (الأندلس)، البلقان، النمسا، هنغاريا، بولندا، الهند، النيبال، بورما، الفليبين، تيمور الشرقية، أريتريا، كل

إسرائيل، لبنان، وروسيا (على خلفية أن القادة الروس دفعوا ذات مرة الجزية للتتار المسلمين) هي بلاد تم تحديدها " أرضاً إسلامية" من قبل مفكرين جهاديين مختلفين. أما حلفاء " المهاجمين" الذين يحتلون الآن هذه "الأراضي الإسلامية" فهم أيضاً أهداف مشروعة، بما أنهم يساعدون في الهجوم المزعوم. بالإجمال، إن قسماً كبيراً من هذا الكوكب عبارة عن لعبة عادلة ونزيهة. فرجال دين القاعدة قد صنعوا رخصة للقيام بحرب عالمية عدوانية واسعة لا محدودة.

إضافة لذلك، يحدد مفكرو القاعدة " العدوان" ضد الإسلام ليشمل مجرد الوجود لإيديولوجيات منافسة، بدلاً من أن يشمل هجوماً مادياً من قبل مجموعة أو دولة أخرى. وبذلم يحاجج سيد قطب، مصدر الأفكار الأساسي للقاعدة، بقوله، " يجب علينا تغيير معنى كلمة " دفاع" لنعني بها " دفاع الإنسان" ضد كل تلك العناصر التي تحد من حريته،" لتشمل " المعتقدات والمفاهيم." هذا الفهم الأصح للإسلام يتطلب الإنتشار العالمي للحكم الإسلامي – ترسيخ سلطة الله و جبروته على إمتداد العالم، " كما وضع الأمر سيد قطب.

- **تبرير قتل مدنيين ومسلمين :** يسمح مفكرو القاعدة، وحتى يحتمون، عمليات القتل الضخمة لغير المقاتلين في زمن الحرب. وكان بن لادن قد أعلن على الملأ بأن " قتل الأميركيين... المدنيين والعسكريين، هو واجب فردي على كل مسلم بإمكانه القيام بذلك في أي بلد يكون فيه ذلك ممكناً." وقد أدعى الناطق بإسم القاعدة، سليمان أبو غيث، الحق للقاعدة بقتل 4 ملايين أميركي، بما في ذلك مليوني طفل. إذ حاجج مفكرو القاعدة بقولهم بأن الإسلام يسمح بعمليات القتل الضخمة لمدنيين والتي يتسبب بها إستخدام أسلحة الدمار الشامل،" وقد وعد أسامة بن لادن، بشكل لا لبس فيه، بإستخدام أسلحة الدمار الشامل إذا أمكنه ذلك.
توسع القاعدة مفهوم الجهاد ليسمح بإستخدام العنف، بما فيه العنف الضخم ضد مسلمين آخرين. أما الإسلام السائد فيحرم هذا الأمر. ويستمد مفكرو القاعدة من كتابات إبن تيمية السلفي القديم (1263-1328) ما يجعلهم يتملصون من هذا الحكم. إذ طور إبن تيمية عقيدة التكفير، مشيراً الى أن الناس الذين لا يتبعون التفسير الصحيح (السلفي) للإسلام أو يدعمون الأنظمة السياسية التي تحكم ضد القانون الإسلامي بالإمكان إعلان تكفيرها، ما يعني، بأنها لم تعد إسلامية. عندها يمكن قتل أشخاص كهؤلاء، رغم أنهم يعتبرون أنفسهم مسلمين. هذا النقاش يتيح للقاعدة توجيه عنفها ضد مسلمين وكذلك ضد من هم من غير المسلمين.
بواسطة هذه الأساليب تحدد القاعدة قسم كبير من الإنسانية على أنه هدف مباح، وحتى إلزامي، للعنف. لقد تم تحريف وتشويه الإسلام السائد الذي يحرِّم الحرب العدوانية، قتل غير المقاتلين وقتل مسلمين آخرين، للقطب المعاكس له.

التاريخ

تقدم الرواية التاريخية للقاعدة الإدعاء القائل بأن الغرب شن حرباً عدوانية غير مُستفزَّة وقاسية لا هوادة فيها ضد عالم إسلامي مسالم منذ زمن محمد. أما الأحداث المذكورة في هذه الحرب العدوانية فتشمل الحروب الصليبية؛ الإستعمار الوحشي للمسلمين من قبل البريطانيين، الفرنسيين، الروس، الإيطاليين، والأميركيين من القرن الثامن عشر وحتى

الستينات من القرن الماضي؛ تدمير الخلافة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى؛ وتأسيس إسرائيل في العام 1948. أما الفصول الأحدث فتتضمن التدخل الإنساني الأميركي في الصومال (1992-1994)؛ الدعم الأميركي المزعوم لعمليات قتل وطرد المسلمين البوسنيين من قبل الصرب في مطلع التسعينات؛ الدعم الغربي لإستقلال تيمور الشرقية عن إندونيسيا (1999)، الأمر الذي أدى الى تمزيق أندونيسيا وترحيل مسلمي تيمور بالقوة؛ الدعم الأميركي المزعوم لقمع الهند للمسلمين في كشمير والقمع الروسي للمسلمين الشيشان؛ القتل الأميركي المزعوم لمئات آلاف العراقيين بسبب العقوبات الإقتصادية الموجهة ضد نظام صدام حسين من العام 1991 الى العام 2001؛ الغزو الأميركي لأفغانستان (2001) والعراق (2003)؛ والدعم الأميركي لأنشطة عسكرية إسرائيلية عديدة ضد العرب منذ العام 1948. ويلخص فيلم بروباغندا القاعدة الضرر المزعوم بسبب هذا العدوان بالتالي:" إن الأمة الإسلامية بكاملها اليوم خاضعة لطغيان وقمع الكفر الصليبي." وبصفتها دوافع غربية، تؤكد القاعدة على أن الولايات المتحدة لا تعير قيمة لحياة المسلمين وبأنها تسعى الى تدمير الإسلام والسيطرة على نفطه. وتزعم القاعدة بأن عنفها يحمي المسلمين من هذا العدوان.

تقييم الرواية

لايمكن الحكم على الفصل الديني للرواية بـ " صح" أو " خطأ "، بما أنها تستند الى المعتقد الإيماني وليس الحقائق. إنما بالإمكان تقييمها والحكم عليها بأنها منحرفة بشدة عن الفهم السائد للمسلمين للإسلام.

أما الفصل التاريخي لرواية القاعدة فخليط من الفبركة وأنصاف الحقائق. فلو كانت صحيحة، فإنها تبرر بالفعل الغضب الإسلامي الشديد من جرائم الغرب. إلا أنها تنحرف بعيداً عن الحقيقة، ويعود ذلك، جزئياً، لصنعها مزاعم مزيفة، إنما، وهذ هوالأهم، بسبب إسقاطها لحقائق أساسية غيابها يؤدي الى إعطاء الرواية جانباً خاطئاً مزيفاً.

ليست جميع المزاعم في رواية القاعدة مزيفة. فالغرب قام بالفعل بإستعمار قاس ووحشي لأجزاء كبيرة من العالم الإسلامي منذ القرن السابع عشر وحتى ستينات القرن الماضي، ويهتم الغرب فعلاً بحياة المواطنين الغربيين أكثر من إهتمامه بحياة المسلمين، كما يدعم الحكام المستبدين المسلمين، ويدعم إسرائيل بشكل غير مشروط بدرجة غير محددة.

هناك مزاعم هامة أخرى في رواية القاعدة غير صحيحة. وهي تتضمن مزاعم تقول بأن الولايات النمتحدة كانت مسؤولة، الى حد كبير، عن موت مئات آلاف العراقيين (أو أكثر) بظل العقوبات المفروضة على صدام حسين ما بين عامي 1991 و 2003؛ متورطة في الإغارة على المسلمين في الصومال، البوسنة، كوسوفو وتيمور الشرقية؛ دعم الأعمال الوحشية الروسية والهندية ضد المسلمين في كوسوفو وكشمير؛ وبأنها، بمعنى أكبر، سعت الى تدمير الإسلام. هذا الإبراز يشوه بشكل فاضح السجل التاريخي. فالعقوبات الغربية ما بين عامي 1991- 2003 سمحت لصدام حسين بالحصول على الغذاء والدواء الكافيين

للإهتمام بشعبه، إلا أن صدام رفض توزيع هذه الموارد. وبذلك، كانت الولايات المتحدة مسؤولةعرضياً عن المعاناة؛ صدام كان الجاني الرئيس. لقد إرتكبت الولايات المتحدة أخطاء خطيرة خلال تدخلاتها في الصومال، البوسنة، وكوسوفو، لكنها تدخلت في كل حالة من هذه الحالات لمساعدة مسلمين، وليس لإيذائهم. فتدخلها في البوسنة وكوسوفو أنهى العنف الصربي ضد الأكثرية السكانية المسلمة، وتدخلها في الصومال أنقذ حياة حوالي 22000 صومالي مسلم. لقد ورطت القوى الغربية نفسها في تيمور الشرقية في العام 1999 لوقف الوحشية الأندونيسية ضد التيموريين الشرقيين، وليس للإساءة للمسلمين. ولم تدعم الولايات المتحدة الممارسات الوحشية الروسية والهندية في الشيشان أو كشمير ولم تسع بأي معنى من المعاني لتدمير الإسلام.

إن الأمر الأهم هو ما تحذفه رواية القاعدة وتسقطه. فهي تبرز تاريخ العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين على أنه سجل عنف غير مستفز بإتجاه واحد من قبل غير المسلمين. إلا أن العنف كان في واقع الأمر طريقاً بالإتجاهين.

لقد إرتكبت دولاً غربية ممارسات وحشية كبيرة ضد مجتمعات إسلامية. وهذه الممارسات تتضمن بعض الجرائم التي تدينها القاعدة علانية (جهود غربية لقهر وإخضاع مستعمرات إسلامية، ما بين عام 1700 وستينات القرن الماضي، كما أسلفنا سابقاً)، وبعض ما تسقطه القاعدة (الإنقلاب الأميركي عام 1953 في إيران وسياسة أميركية إزدرائية تجاه أفغانستان من العام 1989 وحتى العام 1992 تركت هذا البلد مشتعلاً).

من جهة أخرى، ذبحت حكومة السودان الإسلامية مليونيْ شخص من غير المقاتلين من شعب جنوب السودان منذ العام 1983، ودعمت ثورة جيش الرب المقاوم المجرم في أوغندا حتى العام 2002. أما إندونيسيا المسلمة فقد قتلت 200000 من التيموريين الشرقيين المسيحيين من العام 1975 وحتى العام 2000 و 400000 – 500000 من أقلياتها الصينية غير المسلمة في العام 1965. أما تركيا المسلمة فإرتكبت مجزرة بحق 600000 – 1500000 من الأرمن المسيحيين في مجزرتيْ عام 1895 و 1915، في إحدى أكبر المجازر المرتكبة في التاريخ الحديث.

وبذلك، فإن التاريخ الحديث للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين مشوب بجرائم كبيرة مرتكبة من قبل الجانبين. لقد أوقع كلا الفريقان أنفسهما في الخطأ بسبب أعمالهما القاسية الوحشية. وفقاً لذلك، ينبغي على كلا الجانبين الإعتراف بجرائمهما، يطأطوا رؤوسهم بخجل طالبين السماح. وعلى الجانبين تلطيف وتعديل نبرة وشكاويهما ضد الجانب الآخر في ضوء البربرية المرتكبة من قبل كل منهما.

هناك أيضاً كثير من دماء المسلمين تلطخت بها أيدي المتطرفين الإسلاميين. فجرائمهم تتضمن ذبح بضع مئات من المسلمين في دارفور من قبل الحكومة السودانية الإسلامية منذ العام 2003؛ قتل آلاف الأفغان المسلمين من قبل حكومة طالبان الإسلامية في أفغانستان خلال التسعينات؛ قتل عشرات آلاف المسلمين الجزائريين من قبل الحركة الأصولية

الإسلامية الجزائرية العنيفة، الجماعة الإسلامية المسلحة من عام 1992 وحتى العام 1998؛ وقتل آلاف العراقيين الشيعة من قبل متطرفين سنة منذ العام 2003. ويضع الإسلاميون المتطرفون أنفسهم في وضع المدافعين عن المسلمين، إلا أنهم قتلوا من المسلمين أكثر بكثير مما فعل الأميركيون، الأوروبيون، والإسرائيليون في السنوات الأخيرة.

بإختصار، تترك رواية القاعدة مجالاً كبيراً للنقاش والتصحيح. إن الفشل بالإنكباب على هذه الرواية سيترك مجالاً منطقياً قوياً لدعم القاعدة. فما هي الخطوات التي بإمكان الولايات المتحدة إتخاذها؟

مناقشة الرواية

ينبغي على الحكومة الأميركية القيام بما يمكنها لتضخيم الأصوات الإسلامية التي تشكك بصحة رواية القاعدة. وبإتجاه تحقيق هذا الهدف، ينبغي على الولايات المتحدة تقديم أية مساعدة مفيدة لقادة مسلمين، باحثين، معلقين، مدارس، ناشرين، ومؤسسات أخرى تعارض وتتحدى إيديولوجية القاعدة. في كل الأحوال، يجب الإعتراف بأن المساعدات الأميركية تضعف مصداقية المتلقين لهذه المساعدات لدى الجماهير المسلمة.

يجب على الحكومة الأميركية، أيضاً، دعم وزيادة معرفتها الداخلية حول كل المسائل المتصلة برواية القاعدة، بحيث يمكن لشعبها مناقشة تلك الرواية بفعالية. إن تعبير وصوت الحكومة الأميركية في هذا النقاش سيكون فاعلاً إذا ما كان مدعوماً بخبرة عميقة.

نحو تحقيق هذا الهدف، ينبغي على الولايات المتحدة تأسيس " مجموعة حوار الحضارات" (CDC) لمناقشة الفصلين الديني والتاريخي لرواية القاعدة. ينبغي أن تكون " مجموعة حوار الحضارات" موجودة في " دائرة الديبلوماسية العامة الجديدة في وزارة الخارجية" (التي ذكرنا مسألة إنشائها آنفاً). ويجب أن تتألف من بضع مسؤولين في وزارة الخاجية الأميركية الضالعين بعمق بالقانون والدين الإسلاميين، التاريخ الديني الإسلامي، التاريخ السياسي والإجتماعي للعالم الإسلامي، وتاريخ علاقات المسلمين مع غير المسلمين. وبشكل مطلوب أكثر من غيره، يجب أن يتحدث مسؤولو الـ CDC لغة العالم الإسلامي (مثلاً، العربية،الباشتونية، البنجابية، الفارسية أو الأندونيسية). ولإكتساب الخبرة الكافية، سيحتاج مسؤولو الـ CDC أشهراً أو حتى سنوات من التعلم الخاص المكثف. هؤلاء المتخصصون في القانون والتاريخ الإسلاميين سيحتاجون الى تدريب ليصلوا الى مستوى باحثين مسلمين محترمين.

يكون مسؤولو الـ CDC جاهزين لشرح الكيفية التي تنحرف فيها رواية القاعدة الدينية عن الإسلام السائد، وكشف الأخطاء في روايتها التاريخية، في الوقت الذي يمنحون فيه موافقتهم للعناصر الحقيقية للرواية وتطوير رؤية ممثلة للسلوكيات والقيم السائدة للتاريخ ذي الصلة.

وسيتولى مسؤولو الـ CDC زمام القيادة في تنظيم وتفويض الأصوات المعبرة في العالم الإسلامي لمناقشة رواية القاعدة.

لن تتقبل المجتمعات المسلمة، وهذا واضح، مسؤولي الـ CDC كمصدر معلومات موثوق به حول الدين أو التاريخ الإسلامي، بل أنهم سيظلوا يصغون، بشكل رئيس، الى مصادرهم الخاصة المفوضة الموثوقة. حتى لو كان الأمر كذلك، سيخدم مسؤولو الـ CDC هدفاً قيماً. ففي الحد الأدنى، إن وجودهم سيبقى قائماً بمثابة إشارة إحترام مرئية للمسلمين، مثبتين بأن الحكومة الأميركية تهتم كفاية بشأن المسلمين ليظلوا على إطلاع على أحوالهم. كما أن مسؤولو الـ CDC سيهدِّئون من مخاوف المسلمين وبأن الولايات المتحدة " ماضية في تدمير الإسلام" بإظهار الوعي والفهم بأن لدى الإسلام السائد والغرب قيم هامة مشتركة فيما بينهما (كما حاجج الرئيس أوباما في خطابه في جامعة القاهرة)، وبأن العلم الديني للقاعدة مناقض للإسلام. وفي المدى الطويل، سيؤثر مسؤولو الـ CDC على مصطلحات النقاش بين المسلمين بالإشارة الى حقائق أو مناقشات يجد المسلمون بعد حين عن طريق بحثهم بأنها مدعومة جيداً. قد لا يُقنعون كثيراً من المسلمين مباشرة، لكنهم سيحثون على مناقشات مفيدة يُقنع بها المسلمون بعضهم البعض بها.

ولإيجاد مسؤولي الـ CDC، بإمكان وزارة الخارجية إرسال بعضاً من الناطقين لديها باللغة العربية، الباشتونية، البنجابية، أو الأندونيسية الى مدارس دينية خاصة لتعلم الدين أو التاريخ الإسلامي. بإمكان وزارة الخارجية تجنيد باحثين أميركيين من الضالعين بالقانون أو التاريخ الإسلامي للعمل ضمن دوام عمل جزئي يكونوا فيه ممثلين للحكومة الأميركية في الإعلام العربي / الإسلامي وفي منتديات عربية / إسلامية أخرى، وبالعمل كنوع من " الإحتياط المدني" وليكونوا عرضة للإستدعاء عند الحاجة. أو يكون بإمكانها (وزارة الخارجية) تجنيد باحثين من العالم الإسلامي المستعدين للعمل علانية لصالح الحكومة الأميركية كموظفين بدوام كامل أو دوام جزئي. سيكون هؤلاء متوفرين مجاناً للإعلام الشرق أوسطي، كقناتيْ الجزيرة والعربية.

يقول البعض بأن المسلمين لن يوافقوا أبداً على مناقشة رواياتهم مع أميركيين، لذا لا معنى لتحضير الإنضمام الى النقاش. في كل الأحوال، لقد حرمت الحكومة الأميركية نفسها، بالواقع، من الخبرة الضرورية للإنضمام الى النقاش. في هذه المرحلة، لا تعرف الحكومة الأميركية إلا القليل جداً عن الدين أو التاريخ الإسلامي ليكون لديها أي شيئ مهم أو مفيد لتقوله عنهما. فلم يريد المسلمون الحوار مع جاهل؟ عندما تحضر الحكومة خبرة أكبر وتضعها على الطاولة، فسيكون مرحباً بها أكثر. إذ بإمكانها أن تجعل من نفسها محاوراً شرعياً بدفعها مستحقاتها من خلال الدراسة والتعلم.

كما أشرنا آنفاً، إن الديماغوجيين (المهوشين) في الولايات المتحدة قد قاموا في بعض الأحيان برياضة مهاجمة مسؤولي فريق العمل الديبلوماسي والإستشاري في مكتب الخارجية (Foreign –Service) لأجل لحظات من الصراحة والنزاهة العلنية. إلا أن

مسؤولي الـ CDC لا يمكن أن يكونوا فاعلين إذا ما تخوفوا من التشهير بهم بسبب قيامهم بعملهم. سيحتاج هؤلاء الى الحماية من هجمات من النوع.

إنشاء منظمات غير حكومية(NGOs) :Rligious – Hate Watch, Myth Watch

ينبغي على الحكومة الأميركية أن تسعى الى طرق لإيجاد منظمات غير حكومية جديدة (NGOs) تنافس رواية القاعدة وتدعم أهداف أميركية بطريقة أخرى. ما نحن بحاجة له هو منظمتان غير حكوميتان جديدتان " تسمي وتدين" – على نسق منظمة هيومان رايتس ووتش، منظمة العفو الدولية، منظمة الشفافية ومركز Southern Poverty Law Center – للإنكباب على الأفكار المؤذية حول العالم.

إن المنظمات غير الحكومية الموجودة التي "تسمي وتدين" فعالة. فالدول التي تنتهك حقوق الإنسان أو تسمح بالفساد تخاف من النقد من هذه المنظمات غير الحكومية وتقوم أحياناً بتحسين إدارتها لتتجنبه.

إن المنظمات غير الحكومية الجديدة ستسمي وتدين بأسلوب مشابه لكن لهدف جديد: كشف وإنتقاد توالد الأفكار الهدامة، خاصة الأفكار التي تدعم رواية القاعدة. إن نجاح هذه المنظمات سيوهن ويكبح الأفكار المؤذية حول العالم لتخدم بذلك أهدافاً هامة للسياسة الخارجية الأميركية. لا يمكن للحكومة الأميركية أن تأخذ زمام القيادة في إنشاء هذه المنظمات، لكن بإمكانها الإيحاء الى أصدقاء لها في المجتمع المدني لجعل ذلك يحصل.

إن **منظمة Religious – Hate Watch** (غير الحكومية) ستكشف و تستهجن إستخدام السلطة الدينية – سلطة الله أو سلطة معتقد ديني – للكراهية في كل مجتمع ديني. إنها ستراقب منافذ الأفكار الدينية عبر العالم، بما في ذلك الكنائس، المساجد، الكُنس، المعابد، المدارس والجامعات الدينية، المطبوعات الدينية والإعلام الإلكتروني، والإنترنت. وستتضمن مهمتها إنتقاد مقاطع الكراهية في الكتب المقدسة، الموجودة في كل دين. إن هذه المنظمة ستتحدى الدين للعثور على طريقة لإبعاد مقاطع الكراهية من الخدمة الفعلية وجعلها مجرد رسالة لا حياة فيها.

ستضغط منظمة Religious – Hate Watch أيضاً على المجتمعات الدينية لتتعترف بالأخطاء التي إرتكبها معتقدهم ضد آخرين. وتظهر التجربة بأن أولئك الذين يعترفون بأخطائهم هم الأقل ترجيحاً بكثير لجهة تكريرها. ووفقاً لذلك، فإن المجتمعات الدينية التي تعترف بآثامها وذنوبها ستكون أقل إحتمالاً لجهة إيذاءها آخرين. وغالباً ما عملت بعثات الحقيقة كبنية للإعتراف بالخطأ عقب صراع أهلي أو إنتهاكات لحقوق الإنسان، أشهرها في جنوب أفريقيا. بالإمكان إجبار أديان منظمة على إتباع هذا المثال وتنفيذ بعثات حقيقة تخصها.

لن تسعى هذه المنظمة الى الحد من حقوق حرية الكلام للآخرين. بالأحرى إنها سترد على خطاب الكراهية بخطاب من عندياتها. فحديث المونولوج من قبل الحاقدين الدينيين سيتم إستبداله بحوارات تتضمن أصواتاً ناقدة لرسالة الحاقدين. فالناس الذين يعلنون وينشرون الكراهية سيجدون أنفسهم يتقاسمون المسرح مع آخرين، وسيسمع أتباعهم جانبيْ الرواية. وبذلك ستخلق هذه المنظمة حرية كلام أكبر، وليس أقل، حول القضايا الدينية / السياسية.

هناك 5 ملاحظات تدعم قضية إنشاء منظمة Religious – Hate Watch (الغير حكومية) :

1 . إن شيطان الكراهية الطافحة والعنف الديني يرتفعان في العالم. وليس عنف القاعدة إلا أحد الأمثلة لتهديد وخطر أوسع. هناك أمثلة عن صراعات دينية أخرى حديثة تشمل حروباً أهلية في السودان بين الإسلاميين وغير المسلمين منذ العام 1956، حرب أهلية في الجزائر بين إسلاميين متطرفين وعلمانيين في تسعينات القرن الماضي، حرب بين إيران الشيعية الإسلامية الأصولية والعراق المحكوم من قبل السنة في ثمانينات القرن الماضي، حرب أهلية بين السنة والشيعة في العراق منذ العام 2003، بروز دوافع دينية لدى كلا الجانبين في صراعيْ إسرائيل – فلسطين والهند – باكستان في العقود الأخيرة، الحرب الأهلية الأخيرة في سيريلانكا بين السينهاليس البوذيين (مواطنو الجزء الأكبر من سيريلانكا) والهندوس-التاميل، حرب عنيفة بين طالبان الإسلامية الأصولية وآخرين في أفغانستان في تسعينات القرن الماضي، وبروز عام لأصوليين مسيحيين، يهود، مسلمين وهندوس غاضبين في السنوات الأخيرة.

2. إن الأديان المنظمة لا تواجه محاسبة كبيرة على أعمالها، هناك ضرورة لوجود آلية تحملهم المسؤولية عن الإدارة الهدامة.

3. إن النقد الأخلاقي يمكن أن يحسن مصطلحات النقاش في مجتمعات مربكة أخلاقياً. أما الأمثلة عن المجتمعات التي تم تحويلها عن طريق النقد الأخلاقي فتشمل الولايات المتحدة في حقبة قوانين Jim Crow الإستعبادية والعنصرية، الإتحاد السوفياتي والحركة الشيوعية العالمية بعد الحرب العالمية الثانية، سياسة التمييز والفصل العنصري في جنوب أفريقيا والكنيسة الكاثوليكية ما قبل الفاتيكان 2. لقد توصلت نخب هذه المجتمعات الى أن تتقبل بأن أفكارهم أو أنظمتهم السياسية أو الإجتماعية غير شرعية، وذلك يعود، جزئياً، الى أن الناس في الخارج قاموا بإنتقادات لم يكن بإمكانهم الرد عليها. وقد ساعدت أعمال مثل Uncle Tom s Cabin لـ Harriet Beecher Stowe و One Day in the Life of Ivan Denisovitch و First Circle لـ Alexander Solzhenitsyn على دحض وتحطيم القضية الأخلاقية المتعلقة بالعبودية والشيوعية. وبشكل مشابه، بإمكان عملية إنتقاد الكراهية الدينية إقناع المجتمعات الدينية بالتخلي عنها وإنكارها.

4. بإمكان منظمة Religious – Hate Watch أن تقدم للأصوات الغربية المعبِّرة نقطة دخول مفيدة أخرى الى جدل الإسلام الداخلي المتبادل حول علم الدين. فهي ستعرِّف عن

نفسها كهيئة محايدة متمسكة بكل المعتقدات وفق نفس المعيار وتضم أعضاء من كل المعتقدات في قيادتها. وفقاً لذلك، سيكون من الصعب بالنسبة لزعماء أي معتقد رفض الحوار مع هذه المنظمة. أما أولئك الذي يعتذرون ويرفضون فسيكشفون عن أنفسهم على أن لا جواب لديهم أو أن لديهم ما يخفونه.

5. إن الجهود الأميركية المبذولة لهزيمة بالقاعدة متضررة بسبب التطرف الديني من غير المسلمين كما من التطرف الإسلامي، لأن تطرف غير المسلمين يثير التطرف الإسلامي. فالحركات الدينية المتطرفة تعزز بعضها البعض. فكل واحدة تستخدم التهديد الذي يشكله الفريق الآخر لتحريك أتباعها. إن المتطرفين الإسلاميين يستغلون الخطاب المسيحي واليهودي المعادي للإسلام لإثارة أتباعهم، والعكس بالعكس. فالقس المسيحي فرانكلين براهام، الذي إصطلح، بحسب ما هو مشهور، على تسمية الإسلام بـ " الدين الخبيث والشيطاني،" وأسامة بن لادن حليفان واقعيان. إنهما يساعدان على الإحتفاظ بكل منهما في مجال العمل. لذا فإن تلك المنظمة ستساعد الجهود الأميركية ضد القاعدة لإضعاف المتطرفين من كل الشرائح، بمن فيهم المسيحيين، اليهود والهندوس. وبذلك، فإن الجهود البذولة لترطيب حالة الكراهية في كل المجتمعات الدينية وكبحها ستساعد حرب الأفكار الأميركية – أو الحوار – ضد القاعدة.

إن التوصل لإتفاق حول تعريف مناسب وعامل للغل والكراهية الدينية سيستلزم جهداً. أما المشكلة فتكمن في العثور على تعريف ليس بالواسع جداً ولا بالضيق جداً. على سبيل المثال، إن مسألة الحصرية الدينية ستشكل قضية شائكة. فالبعض يحاجج بأن مزاعم أي دين بأنه الطريق الوحيد الى الله هي مزاعم كريهة، بما أنها تعرض بأن المؤمنين الآخرين هم أناس أقل شأناً في نظر الله. إلا أن مزاعم من هذا النوع تقوم بها، وبشكل واسع، مجتمعات دينية. وبذلك، فإن عدداً من المسيحيين يستشهدون بكلمات المسيح في إنجيل يوحنا سفر 14:6، " أنا الطريق؛...لا أحد يأتي الى الأب إلا بواسطتي،" كدليل على أن المسيحية هي الطريق الوحيد الى الله. إن إيجاد طرق للإنكباب على معتقدات كهذه من دون تصنيف أجزاء واسعة من العالم على أنها مكروهة أمر سيتطلب عناية وإهتمام.

إن منظمة Myth Watch ستكشف وتنتقد رسمياً نشر الروايات التاريخية الشوفينية (المغالاة في التعصب) المزيفة من قبل حكومات، حركات سياسية، ومجموعات أخرى حول العالم. إنها ستخدم حرب / حوار الأفكار عن طريق التقليل من حجم وأهمية الروايات المعادية للأمركة في العالم وتخفيف، أو منع ، صراعات تغذيها روايات شوفينية لا تلبث أن تصبح علفاً لبروباغندا القاعدة.

يستخدم القادة السياسيون، الى حد واسع، تبرير الذات أو الأعمال، تمجيد الذات وروايات أخرى تاريخية مشوِّهة للسمعة لتحريك الدعم الشعبي العام لأنفسهم ولبرامجهم. إن روايات من هذا النوع هي سبب رئيس وأول لحدوث صراع. فالحربين العالميتين الأولى والثانية تغذتا على الباطل التاريخي الشوفيني الذي غذى إيديولوجيات سامة تجعل من الفرد ضحية (

خدعة الضحية)، لتساعد عل غزل سياسات خارجية عدوانية. فهتلر وصل الى السلطة على متن أكاذيب خبيثة عن التاريخ وإستخدم هذه الأكاذيب لتبرير أعماله العدوانية.

لا تزال أكاذيب كهذه تلعب دوراً هداماً ومميتاً في أوضاع عديدة حول العالم اليوم. وكما ناقشنا آنفاً، فإن القاعدة توحي الى أتباعها، مع قيامها بإخفاء رذائلها وأخطائها الذاتية وأكاذيبها المختلقة، برواية الضحية التي يقع فيها اللوم على الغير. كما أن كل من الإسرائيليين والفلسطينيين يعتنقان فكرة إخفاء الرذائل والأخطاء الذاتية، وروايات تلقي اللوم فيها على آخرين بما يتعلق بتاريخهم المتبادل. وقد غذت روايات من هذا النوع أيضاً العنف الصربي – الكرواتي – البوسني في التسعينات وهي تذكي نار مناقشات السياسة الخارجية المتشددة في روسيا والصين اليوم.

قامت أوروبا الغربية منذ العام 1945 بجعل تعليم التاريخ مشتركاً من دون خاصية مميزة بظل حث وتحريض من الأونيسكو ومعهد Georg Eckert Institute of Brunswick في ألمانيا. وقد رعت الأونيسكو ومعهد إيكرت حواراً دولياً حول نصوص التاريخ المدرسي ما ساعد على تضييق الفروقات في تعليم مادة التاريخ عبر البلدان (الأوروبية). كما أن حركة حقيقية وجوهرية لإخبار الحقيقة التاريخية بصدق ودون رتوش في ألمانيا دفع بالتعليم الإلماني دفعة أخرى أيضاً في الإتجاه الصحيح. إن نجاح هذه الجهود تمضي بعيداً لتشرح السبب الذي تعتبر فيه الحرب أمراً لا يمكن التفكير فيه في أوروبا الغربية الآن، وتظهر بأن الرواية الخبيثة يمكن قلبها عن طريق عمل مخطط ومنجز على نحو جماعي. ينبغي أن نرفع من شأن التبصر والحكمة الأوروبية ونعيد إنتاجها من جديد في العالم أجمع. ينبغي تأسيس منظمة Myth Watch (غير الحكومية) لتنافس بشكل إستباقي ووقائي الأكاذيب الشوفينية عندما تظهر، وقبل تتسببها بصراع ما.

إن المصلحة القومية الأميركية في إفراغ الروايات التاريخية المزيفة من مضمونها في العالم تكمن أولاً في التقليل من الروايات المزيفة المعادية للأميركيين. هذا الأمر سيساعد الولايات المتحدة على إيجاد عدد أكبر من الحلفاء ضد القاعدة. كما أن المصلحة الأميركية تكمن في التقليل من الروايات غير المعادية للأميركيين أيضاً وإنما تتسبب بحرب بين الآخرين. فالقاعدة وجماعات إرهابية أخرى تتغذى على الحرب، كما ناقشنا آنفاً. وبذلك، فإن من مصلحة الولايات المتحدة منع حروب تشمل مسلمين وبالتالي، إفراغ الروايات التي تتسبب أو تديم حروباً كهذه من مضمونها.

تعزيز عملية صنع السلام الأميركية

تستغل القاعدة، وبشدة، حروباً تشمل مسلمين في البروباعندا خاصتها. هذه البروباغندا تقدم، وبشكل قبيح ومروع، صوراً لمسلمين يعانون في إسرائيل / فلسطين الممزقة والمتنازع عليها، كشمير، العراق، الشيشان، وأفغانستان وفي حروب سابقة في البوسنة، كوسوفو والصومال. إن القاعدة تصبغ على المسلمين المتأذين في هذه الحروب صبغة

الضحية للوحشية الغربية، سواء كانت هذه الوحشية موجودة أم لا. هذه البروباغندا المغذاة بالحرب تزود القاعدة بإحدى أفضل أساليبها وآلياتها للتجنيد.

لذا، إن إنهاء الصراعات التي تشمل مسلمين، أو التقليل منها، هو جزء مركزي من حرب الأفكار. وبإتجاه تحقيق هذا الهدف، ينبغي على الولايات المتحدة تبني سياسة صنع سلام أكثر قوة تجاه الصراعات التي تجري في العالم الإسلامي ومن حوله. وبالتحديد، ينبغي عليها أن تتحرك بما يتخطى مسألة الوساطة الى سياسة تأطير خطط سلام الوضع النهائي ومن ثم إستخدام رافعة لإقناع المتحاربين للقبول بالخطة الأميركية. على سبيل المثال، وبما يتعلق بإسرائيل / فلسطين، ينبغي على الولايات المتحدة إعادة تقديم خطة سلام الوضع النهائي للرئيس بيل كلينتون التي أطلقها في كانون أول عام 2000 (المعروفة بـ " حدود كلينتون " أو " خطة كلينتون") وإعادتها مع إستخدام سياسة العصا والجزرة (الجزر أكثر) الموجهة لكلا الجانبين. هذا الأمر يمكن أن يكسر المأزق ويؤدي الى تحريك الأفرقاء أخيراً بإتجاه السلام. فلطالما أظهرت الإستطلاعات بأن معظم الإسرائيليين وحوالي نصف الفلسطينيين يفضلون السلام وفق المصطلحات المؤطرة في خطة كلينتون. أما ما هو مفقود فهي القيادة الأميركية لدفعهم للسير على خط السلام.

ينبغي على الولايات المتحدة أن تساعد القادة المعتدلين الإسرائيليين والفلسطينيين بأن تعد بأن الحكومة الأميركية ستوفر حوافز لمعارضيهم لتبادل الإعترافات والتنازلات. أما اليوم، فالمعتدلون من الجانبين تراجعوا عن تقديم التنازلات لتخوفهم من أن تركهم في العراء حتى يجفوا، مكشوفين من حيث إستعدادهم للتسليم بحق الآخرين لكن من دون نتائج ظاهرة لهذه التنازلات والإعترافات. إن الضغط الأميركي سيقلل من هذا الخوف.

إن محاولة الإقناع الأميركي ستجبر الراديكاليين من الجانبين لتعديل أهدافهم أو المخاطرة بفقدان الدعم من مجتمعاتهم. فاليوم، المتطرفون في الجانبين – حماس، حركة المستوطن الإسرائيلي وحلفائها في حزب الليكود – لا يدفعون ثمناً سياسياً لحرمانهم مجتمعاتهم من السلام. بإمكانهم الإدعاء بأن " أعمالنا الراديكالية لا تمنع السلام، حيث أنه لن يكون هناك سلام إذاما تصرفنا بشكل أفضل." وقد إستخدمت حماس هذا الجدل بنجاح في حملتها الإنتخابية المنتصرة في عام 2005 – 2006. بإمكان واشنطن منع هذه اللعبة بإيضاحها بأنها ستقود المنطقة الى السلام إلا إذا قام الراديكاليون بإعاقتها. عندها سيفهم الفلسطينيون بأن حماس تمنع السلام بالفعل. وستكون عندها حماس مجبرة على الإعتدال أو تفقد الدعم.

أما بخصوص الهند – باكستان، فينبغي على الولايات المتحدة تأطير خطة أوباما التي تحدد تسوية عادلة للوضع النهائي لصراعهما ودعمها بسياسة العصا والجزرة. فالعناوين العريضة لتلك الخطة واضحة تماماً. أما ما هو مفقود فالضغط الأميركي لجعل الخطة تحدث. وقد بدا في بعض الأحيان بأن الهند وباكستان مستعدتان لصنع السلام في السنوات الأخيرة. إن محاولة الإقناع الأميركية قد تبلغ بهما الى إغلاق هذا الملف.

بخصوص العراق، ينبغي على الولايات المتحدة تأطير مساومة كبيرة تحدد كيفية تسوية القضايا الكبرى البارزة: سلطات الحكومة المركزية مقابل المحافظات؛ تعيين حدود

المحافظات؛ تقاسم السيطرة على مؤسسات أمن الدولة؛ حقوق المحافظات بتنظيم ميليشيا؛ توزيع عائدات النفط؛ وهوية العراق (عربي أم لا). لقد كانت الولايات المتحدة في العراق لوقت طويل كاف لتعلم الصيغ التي تعتبر الأكثر مقبولية بالنسبة للأفرقاء. ينبغي عليها تأطيرها وإستخدام رافعة لإقناع كل المجتمعات في العراق للتوقيع عليها. لقد تخبطت إدارة بوش بحصر وتقييد نفسها ضمن حدود معينة بحلم وصبر بدلاً من التوسط والتودد. على إدارة أوباما التصرف بقوة أكثر.

هل تعتبرسياسة صنع سلام قوي من هذا انوع أمر ممكن عملياً؟ نعم، إلا أنه قد يكون هناك حاجة للإنكباب على المشاكل التالية:

- إن عملية صنع سلام قوي ستتطلب سياسة مرنة توجه الدعم الأميركي الى أي محارب يتصرف بشكل أفضل مهما يكن من أمر هذا المحارب، وتحويل الدعم عن أحد الفريقين المتحاربين الى الآخر عندما يتغير سلوكه. إلا أن الحكومة الأميركية غالباً ما تكون صارمة جداً بالنسبة لهذا الأمر. فهي تقوم، عوضاً عن ذلك، بتصنيف العالم الى صنفين: القبعات البيض والقبعات السود، الذي وفقاً له تعامل بعدها كل فريق كأصدقاء دائمين وكأعداء دائمين. ومن غير الواضح إن كانت واشنطن قادرة على تعلم عادات وطرق ذهنية أكثر تعقيداً تتطلبها عملية صنع سلام قوي.

- سيكون على مسؤولي واشنطن الموافقة على عرض السلام الأميركي. إلا أن تحقيق هذا الإتفاق سيكون تحدياً في الغالب، لأن المتحاربين سيحركون جماعات ضغط معارضة في واشنطن لتعزيز قضاياهم، ما يخلق نقص تام في الحركة أو التقدم.

- ستحتاج الحكومة الأميركية الى معرفة عميقة بأهداف ورؤى المتحاربين. لكن ليس لدى وزارة الخارجية سوى موارد قليلة، أما الثقافة الأميركية الأوسع فضيقة ومحدودة الأفق. ونتيجة لذلك، لا يعرف الأميركيون الكثير عن العالم وقد يكونوا الجهة الخطأ لجهة القيام بمحاولات الهندسة الإجتماعية الصعبة في أراض بعيدة جداً.

- سيكون على الولايات المتحدة أن تكون راعياً نزيهاً؛ فعملية صنع سلام قوي تفشل إذا ما واصلت الولايات المتحدة سياسة سلام غير عادل. بل أن السياسات الأميركية الماضية كانت، في بعض الأحيان، مشوبة بلوثة الأحكام المسبقة الغير منطقية أو الإيديولوجية، أو مأسورة من قبل جماعات ضغط خارجية (كلوبي الصين في الخمسينات والليكود اليوم، واللوبي الكوبي، التايواني والجورجي) تسعى الى أهدافها الضيقة المحدودة من دون إعتبار للعدالة. هذ يؤثر على السياسة الأميركية ويجب إبقاؤها بعيداً.

قد لا تنجح عملية صنع سلام قوي، مع ذلك ينبغي على واشنطن أن تحاول القيام بها. إن للولايات المتحدة مصلحة كبيرة بالسلام فيما يخص أمنها القومي وعليها ركوب المخاطر لمواصلة القيام بذلك، بما فيه خطر الفشل.

الإستنتاج

إن القاعدة حركة عجيبة غريبة. فقادتها يبشرون بالكراهية ضد معظم العالم، بما فيه القسم الكبير والواسع من العالم الإسلامي الذي يرفض رؤيتهم للإسلام. فهم وحلفائهم قاموا بقتل عدة آلاف من المسلمين ومن الأبرياء الآخرين. فقد سبق وكان نموذجهم السياسي الإسلامي المتطرف مرتبطاً بنتائج كارثية في أفغانستان، السودان، وإيران. إن زعماء القاعدة مختبئون في كهوف، من دون أجهزة دولة لتضخيم رسالتهم والإسهاب بها.

ينبغي أن يكون من السهل تشويه حركة كهذه وهزيمتها. مع ذلك، فإن القاعدة قامت حتى الآن، بمحاربة القوة العظمى الوحيدة في العالم وأوصلتها الى حالة من الجمود والشلل في نضالها العالمي في معركة كسب القلوب واالعقول. ونتيجة لذلك، فإن فرص النجاح الأميركي في الحرب الأوسع ضد القاعدة مشكوك بها. فالقاعدة اليوم مع حلفائها الطالبان يهددون أفغانستان وقد وسعوا نطاق سيطرتهم في باكستان. ومن إحتقانها في هذين البلدين، تستمر القاعدة بتهديد العالم الواسع، بما فيه الولايات المتحدة. إن الإنتصار على القاعدة لا يبدو أمراً حاصلاً في المدى المنظور ولن يتم الفوز بهذه الحرب قبل أن تغير الولايات المتحدة من مصطلحات النقاش في العالم الإسلامي من خلال النجاح في حوار الأفكار.

إن الفشل الأميركي في هذا الحوار يعكس فشل الإستراتيجية. فالتشديد الأميركي الماضي على المونولوج على حساب الحوار، والمؤازرة على حساب الحقائق الموضوعية، مضافاً إليها نبرة إحترام غير كافية، غالباً ما جعل الديبلوماسية العامة الأميركية غير فعالة. لقد فشل القادة الأميركيون أيضاً بإطلاق مبادرات تنافس مباشرة رواية القاعدة وتفرغ الأفكار الخبيثة التي تدعمها من مضمونها.

هناك أيضاً فشل بإلتزام موارد كافية لإنجاز المهمة. فلسنوات عديدة، أهمل كل من الكونغرس والقسم التنفيذي الديبلوماسية العامة بصفتها غير هامة، معتقدين بأنها لا تستحق سوى مقدار رمزي من المال وموهبة القيادة.

لقد عانت الولايات المتحدة، وإستفادت القاعدة، من هذه الأخطاء. ينبغي على الحكومة الأميركية أن تدرك الآن بأن الأمن القومي يتطلب قدرة على تشكيل شكل النقاش في الخارج. عليها أن تطور إستراتيجية ثانية لهذه المهمة وإلتزام الموارد المناسبة لأهمية هذه المهمة الحيوية.

.RESERCH SERVICES GROUP

www.ipileb.com